

عظمت وذكري

وضعه

الدكتور محمد عبد المحمد بك

مدير مستشفى الملك وكبير جراحيه

مدير مستشفى عباس وكبير جراحيه سابقاً

طبيب أول بمستشفى نيلوب وبها سابقاً

يطلب من ملتزم طبعه ونشره

بني جيب تزي

صاحب طبعة المعارف ومكتبها بمصر

١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

﴿ أعمال المؤلف ﴾

سرر كلومبير	
الحمل خلع الرحم	
العملية القيصرية	
التشخيص الجراحي	
العلاج بعد العمليات	مزين بالصور
تعليل النوع	» »
التشريح الجراحي :	الجزء الأول مزين بالصور الملونة
العلاج الجراحي :	» » » » »
» » :	» » » الثاني
» » :	» » » الثالث
» » :	» » » الرابع
الدروس الصحية :	» » » الاول
الاسعاف الاول	» » » فقرته وزارة المعارف
الامراض المعدية	» » » » »
التمريض المنزلى	» » » » »
طب البيت	» » » » »
تربية الطفل	» » » » »
الصور الخيالية لجسم الانسان	» » » » »
أغلاط الجراحين وحوادث الجراحة	» » » » »
التاموس الطبي المصرى	تحت الطبع
التعليم والصحة	
السل الرئوى	كلاهما تحت الطبع ، وكلاهما ينشر الآن تباعاً
الادب الطبي	فى مجلة صحة العائلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه خواطر ، اجتماعية ، صحية ، طبية ، جرى بها قلمي العاجز على أثر رجوعي من رحلة إلى الاستانة في صيف سنة ١٩٢٥ ، ومن رحلة أخرى إلى إيطاليا سنة ١٩٢٦ لحضور المؤتمر الجراحي الدولي السابع في روما ، فالى سويسرة لمشاهدة مصحات الاستاذ روليه وغيرها بليزان ، أتشرف بتقديمها ، إلى القارئ الكريم ، عظة وذكرى

الدكتور
محمد عبد الحميد

قليوب ديسمبر سنة ١٩٢٦

محتوى مواد الكتاب

صفحة	
١	في الباخرة آسيا
٣	جبال لبنان
٧	مساوىء السفر وأمراض السياحة
١١	أغراض الاجازات والسياحات
١٤	جزيرة رودس
١٨	وصف الاستانة
٢٢	وصف الاستانة أيضاً
٢٧	فوائد المؤتمرات
٣١	الحديث شجون
٣٥	في الباخرة اسبريا
٤١	فضل الحيوان على الانسان
٤٦	ما هنالك
٥٠	العلاج بالعمل
٥٦	متفرقات
٦٤	موسوليني
٦٨	المؤتمر الدولى السابع
٧٢	الاسعاف الهوائى
٧٦	الاسعاف الهوائى (تابع ما قبله)
٨٧	تعليم الطب
٩١	التخدير
٩٦	بمباي وفيزوف
١٠٧	العلاج السماوى
١١٣	علاج السل بالعمل
١٢٤	علاج الاطفال بالشمس
١٢٩	السل نقاد
١٣٣	بيان لا بد منه

عظمتون كبرى

(١)

في الباهرة آسيا

سافرت في الشهر الفائت^(١)، ترويحاً للنفس من عناء الأعمال، قاصداً إلى استانبول، ولا أقول إلى القسطنطينية، مجازاة للترك، لأنني عامت من بعضهم أنهم يكرهون هذا الاسم، وينفرون من ذكره، وقد يتجاهلونه مكتوباً على الظروف وعنواناً للإشارات البرقية. فركبت في الباهرة «آسيا» وهي من بواخر شركة اللويد ترستينو، وجدير بي ألا أنسى أن أذكر أنها من أحسن شركات الملاحة حرصاً على راحة ركبها وعناية بأمر الغذاء ونظافة البواخر. ولقد تعرفنا بجانب كبير مهندسي الباهرة فتكرم وأرانا شيئاً لم نره من قبل، ذلك هو الجهاز الذي تمخر به الباهرة عباب البحر. واثن تعجب أيها القارئ مما تراه من ظاهر البواخر الكبيرة من نظام القمرات أو المخادع التي ينام فيها الركاب، ومن تنسيق صالة الأكل وصالة الجلوس وصالة التدخين، وترتيب كل ذلك ترتيباً يلتم وراحة المسافرين فعجب الجهاز الذي يسير الباهرة تركيباً ونظاماً وإبداعاً ونظافة واتقاناً. واثن كان لكل شيء قلب فهو لا شك قلب الباهرة. واثن عني الأطباء بقلب الإنسان لأن عليه مدار الحياة فكذلك عناية القوم بهذا الجهاز بديع التركيب، ففيه ترى الأفران الكبيرة

(١) نشرت هذه المقالة في المقتطم بتاريخ ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٥ وكان السفر في اغسطس

والمراجل العظيمة التي تدور الاسطوانات التي تحرك المراوح التي تسير السفينة وكذلك ترى الأجهزة التي يعمل بها الشاج والتي يفرت بها الماء فيصير عذباً سائغاً للشاربين ، والمولدات الكهربائية التي تولد الكهرباء لإدارة المراوح الكهربائية وإنارة المركب إلى غير ذلك مما يطول بنا شرحه وليس هذا مقامه ، وحسبي أن أقول لك إنه مما يقتضى أن تسمى جهبك للاطلاع عليه بأول فرصة تسنح لك

سارت السفينة بسم الله مجريها ومرساها من الاسكندرية إلى بورسعيد فيافا ، ولقد نزلنا في يافا وركبنا سيارة لزيارة القدس ، ولست أقصد من مقالى هذا أن أصف لك أيها القارئ البلاد التي زرتها ، وأشرح لك حالة أهلها وعاداتهم على النحو الذي نحاه حضرة صاحب السعادة احمد باشا زكى في كتابه « السفر إلى المؤتمر » الذي وضعه منذ أكثر من عشرين سنة ، فقد كان الزمن الذي وضع فيه سعادته هذا الكتاب يقتضيه لقلة عدد المسافرين من المصريين إلى الخارج إذ ذاك . ولقد كان القوم في ذلك الوقت يقبلون على مثل هذا الكتاب ، ويقرأونه بتشوق عظيم ، أما الآن فقد تبدلت الحال وزاد عدد المسافرين زيادة عظيمة ، وقل من المصريين المتعامين من لا يسافر غير مرة إلى بلاد مختلفة ، ولذلك أرى من العبث أن يكون هذا غرضى من مقالى ، وإنما غرضى أن أذكر بعض ما لاحظته من الملاحظات الاجتماعية اليسيرة مما قد يكون فيها شيء من الفائدة عظة وذكرى

من ذلك ما لاحظته في أثناء زيارة المسجد الأقصى ، فقد رأيت بعض السيدات يؤدين فريضة الصلاة في المسجد وهو ما لاحظته أيضاً في أثناء زيارة بعض مساجد الاستانة ، فتذكرت السلف الصالح وما كانت عليه

الصالحات من النساء في صدر الإسلام وقلت في نفسي : ترى أنتقرض هذه البقية الباقية فلا يعود الإنسان يراها حتى حيث رأيتموها أم يتجدد للإسلام شأنه وبهجه فنطرح العادات الرذيلة التي لا تتفق والتعاليم الإسلامية لتتسك باهداب العادات الحميدة والفضيلة مما يكون له أكبر الأثر في النهوض نهوضاً حقيقياً مأمون العواقب

والعجب العاجب ان مدينة القدس الشريف ملتقى آمال اليهود والمسلمين والمسيحيين ، فلكل أوائك فيها مآرب ، فاليهود يقدسونها ، والمسلمين فيها المسجد الأقصى وجامع عمر أو جامع الصخرة ، وهو عندنا في المنزلة الثانية بعد الكعبة الشريفة ؛ وإليه أسرى النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام ليلاً . أما المسيحيون فلم يكتفوا بالكنيسة العظمى التي تسمى بكنيسة القيامة وهي التي يحجون إليها في أيام عيد الفصح تبركاً بها

ولقد نال اليهود غرضهم بعد الحرب العظمى فتمكنوا من المدينة وأخذوا يشيدون المباني العظيمة فيها وينشون المدارس ويصاحون طرقها وللوصول إلى المسجد الأقصى وجامع عمر وكنيسة القيامة لابد للإنسان أن ينحدر في طريق كالسلام وكلما سار بضعة أمتار انحدر درجة ، مسيرة نحو عشر دقائق أو أكثر ، وهو طريق على جانبيه بيوت وحوانيت قديمة ، وبعضه مسقوف

وفي أثناء رجوعي من الزيارة إلى الميناء مررت (بمنشية) جديدة أنشأها اليهود بالقرب من الميناء حديثاً ، وهي قرية المشابهة بمصر الجديدة وتسمى بتل أبيب ، ترى فيها الشوارع الواسعة المرصوفة بالمكدام والبيوت والمباني العظيمة والحوانيت المختلفة ، وبالاختصار يمكنك أن ترى فيها العمران على

قدم وساق ودلائل الرقي والتقدم ظاهرة جليلة وهكذا لا يرث الأرض من عباده إلا المجتهدون فيعمرونها ويفيدون ويستفيدون . ولا يفوتني أن أذكر بهذه المناسبة أن السواق قد أوقف السيارة بمنتصف الطريق ما بين يافا والقدس تقريباً عند شبه قهوة أو فندق حقير لوضع الماء في برادة السيارة فبعدنا في هذا المكان لنشرب فنجان قهوة فاستغربنا إذ وجدنا على الجدار تليفوناً فسألنا عن تاريخه فأخبرنا أنه من المستحدثات بعد الحرب ولم يكن للقوم به علم قبل ذلك فقلنا آية جديدة على ما حدث من التحول

(٢)

جبال لبنان

وبعد يافا نزلنا في حيفا . وأخذنا سيارة لصعود جبل الكرمل . وارتفاع قوته نحو ألفي قدم . والجبل عاليه ثياب خضر من الصنوبر والزيتون وغيرهما من الأشجار المختلفة . وهو خصب ومشهور في التاريخ . ويقال إنه مذكور في العهد القديم . وأظن أنه لا يقل عن جبال لبنان في جمال المنظر ولطافة الهواء أما جبال لبنان وما أدراك ما جبال لبنان ، إنها تلك الجبال « التي لم تبخل عليها الطبيعة بضرب من ضروب الجمال » والتي قامت شركة مصايف لبنان تدعو المصريين الى الاصطياف فيها وتبين لهم مزاياها ، وتشرح لهم طرق الوصول إليها براً وبحراً ، وترشدكم بالاختصار الى كل ما يحتاجون اليه في مدة إقامتهم فيها . ولا أنكر اني قبل الذهاب الى لبنان كنت أحسب ما تعمله الشركة من طرق الترغيب مبالغاً فيه لتحويل المصطافين الى تلك البلاد

أما وقد رأيت ربوع هذه الجبال واشرافها على البحر ، وشاهدت مناظرها الجميلة واستنشقت هواءها العليل ، وشربت من مائها العذب ، أقول وقد فعلت كل ذلك إن ما تفعله الشركة من طرق الترغيب أقل مما يجب أن يعمل لأن الموقع والمنظر والهواء والماء ؛ كل أولئك من المزايا التي لا يستهان بها والتي يصح من أجلها أن يجعل المصريون هذه الجبال مصيفاً لهم ولا يعيب هذا المصيف إلا ما ينقصه من بعض وسائل الراحة . وأهمها مسألة دورة المياه في الفنادق

وقد يسوءني أن اذكر اني تناولت الغذاء في أحد فنادق بيت مري ، وكان شكل الفندق من الخارج أنيقاً وكان القائمون بأمره يهتمون بتوفير أسباب الراحة للنازلين فيه . ولكن دورة المياه لا تتناسب وحالته مطلقاً . ولا يخفى ما لدورة المياه من الشأن في تهيئة أسباب الراحة ولقد بلغ من عناية القائمين بأمر الفنادق في البلاد الأجنبية أن جعلوا لكل غرفة حماماً بجميع مستلزماته . ولقد لاحظت من صاحب الفندق ، والحق يقال ، أنه يريد أن يستميل النازل في فندقه بكل ما في وسعه ، متفانياً في إرضائه بكل ما في طاقته ، معيراً اهتمامه لكل ما يبدى إليه من الاقتراحات . وهي صفات أقل ما فيها أنها تبشر بأن القوم في سبيل الكمال سائرون ، وسنراهم ان شاء الله موفقين

وفي جبال لبنان ينابيع وعيون كثيرة ، منها ما حلل ماؤه وعرف ما فيه من الاملاح والعناصر ، ومنها ما لا يزال تركيب مائه مجهولاً . ولا أظن أن هذه الينابيع والعيون تقل شأنًا عن كثير من الينابيع والعيون التي في البلاد الأجنبية . وجدير باخواننا اللبنانيين أن يهتموا بها اهتماماً عظيماً وان يعملوا

على تحليل مائها تحليلًا دقيقًا وإن يتعرفوا ما لها من المزايا الدوائية ، ولا بأس من الاستعانة بالمتوفرين على هذه المسائل من الأجانب . ويمكنهم بعد ذلك أن ينشروا نتائج أبحاثهم في الجرائد والمجلات وفي كراسات توزع على الأطباء مجانًا . ويجب أن تشيد في الوقت نفسه الفنادق الكبيرة في المواضع المناسبة بالقرب من الينابيع والعيون التي تتضح فائدتها وتجهز هذه الفنادق بجميع وسائل الراحة . فإن فعلوا ذلك ولا إخالهم إلا فاعلين بأذن الله فلم أن يتتبعوا خطوات القوم في البلاد الراقية فيما يعملون من وسائل الترفيه الكمالية من الملاهي والمراسح والحدائق وأجواق الموسيقى وغير ذلك مما يطول شرحه أليس من الأسف العظيم ألا يجد الإنسان بالقرب من شاغور حمانا الذي وصفه لامارتين بقوله « ولقد رأيت جبال الالب في سويسرا وشاهدت الهضاب المختلفة في إيطاليا ، وتنقلت بين أماكن الاصطياف في البيرنة في اسبانيا ، لكن مشهد وادي حمانا قد محا كل تلك التصورات من مخيلتي فوقفت أمامه مذهلاً خاشعاً » أقول أليس من الأسف العظيم ألا يجد الإنسان بالقرب من هذا الشاغور فندقاً يمكنه أن يقيم فيه ؟

سبقني أحد أصدقائي إلى زيارة هذا الشاغور وأراد أن يصفه لي ويوصيني ألا أنسى زيارته وأنا بלבنا فارتج عليه ولم يستطع إلا أن يقول لي : الشاغور — الشاغور — الشاغور . فاعتراه ما اعتري ذلك الشاعر القدير الذي رأى شلال نياغرا فاعجبه جمال منظره وراعه حسنه فأراد أن يصفه فارتج عليه ولم يستطع إلا أن يقول نياغرا — نياغرا — نياغرا

هذا الشاغور ليس بجانبه إلا قهوة حقيرة ما جلست عليها إلا حبا

بالتمتع بالمنظر الجميل

والمشكل أن المصريين لا يقبلون على لبنان ويتخذونه مصطافاً لهم إلا إذا توفرت لهم من أسباب الراحة ما يجدونه في المواضع الأجنبية، وأن اخواننا اللبنانيين قد لا يقدمون على تهيئة أسباب الراحة لما تقتضيه من النفقات العظيمة إلا إذا رأوا إقبالاً من المصريين وغيرهم. فكان الإقبال مرتبطاً بالاقدام وكان الإقدام متوقفاً على الإقبال. والرأى عندى لحل هذا المشكل أن يتساهل المصريون اجتراء بما في لبنان من المزايا الطبيعية التي لا يستهان بها وان يقدم اللبنانيون على توفير أسباب الراحة اجتراء ليس وراءه إلا الخير العظيم والنفع العميم

وقد يسر الجمهور المصرى أن يعرف أن أهالى فلسطين وسورية لا يرفضون التعامل بأوراق النقد المصرية وقد تكون عندهم هذه الأوراق أحب اليهم من أوراقهم

(٣)

مساوى السفر وأمراض السياحة

غادرنا لبنان ووصلنا الى اسكندرونة، ومنها ذهبنا الى أنطاكية، وهي على بعد ساعتين ونصف ساعة بالسيارة، وسرنا بعد أنطاكية في طريق يرتفع تدريجاً، وتحفه الحدايق الغناء من الجانبين مسافة نصف ساعة تقريباً، فإذا نحن في موضع يسمى حربية، وهو غاية في الجمال لأنك ترى فيه الماء ينحدر من جملة عيون في وسط خضرة من أشجار مختلفة، ولست أستطيع أن أصور لك جمال هذا المنظر وحسبى أن أقول لك أنى وقفت أمامه مأخوذاً من فرط إعجابى به

واقعد بدأنا نشعر منذ ما وصلنا الى هذه البلاد ، بشيء من الغربة ،
لأننا نرحنا عن الوطن ، فقد كنا كذلك أيام كنا في فلسطين وسورية ، ولكن
لأننا رأينا القوم في اسكندرونة وانطاكية يتكلمون باللغة التركية ونحن نجهلها
جهلاً تاماً ، أما نحن فنتكلم باللغة العربية أو الانجليزية أو الفرنسية ، وهم
يجهلوننا جهلنا باللغة التركية . ولم يكن هناك سبيل للتفاهم إلا بواسطة ترجمان
يتقاضى أجراً عن عمله ، هذا الى أنه كثيراً ما يضاعف نفقات السفر بما
يحاول أن يتقاضاه من السمسرة ، وهذا مما يجعل جهل المسافر بلغة البلاد
التي ينتقل اليها ، في أثناء سفره أو سياحته ، من مساوئ السفر أو السياحة
ولسائل أن يسأل ، والشئ بالشئ يذكر ، هل للسفر أو للسياحة
مساوئ فأقول إن للسفر أو السياحة مساوئ كثيرة ، وكذلك لها أمراض
يسمىها القوم بأمراض الاجازات أو السياحات ، فمن المساوئ الجهل بلغة البلاد
التي يسافر اليها الانسان على نحو ما ذكر ، واختلاف العادات والأخلاق
اختلافاً عظيماً كأن يضطر الرجل الى لبس القبعة وهو في البلاد الأجنبية ،
بدل الطربوش ، وكأن تضطر السيدة المصرية المسامة الى الخروج والسير
سافرة على غير عاداتها وغير ذلك مما يطول شرحه . ومنها ان الانسان قلما
يستطيع أن يسافر هو وسائر أفراد أسرته الى البلاد البعيدة ، وهذا مما يدعو
الى قلق كل فريق وانشغال باله على الفريق الآخر في مدة السفر

ويصح أن أذكر بهذه المناسبة ما يذهب اليه بعضهم من أن خير طريقة
لتغيير الظروف النفسية تغييراً كاملاً والاستفادة من السفر أن يسافر الانسان
وحده بغير أن يصحب معه أحداً من أسرته أو أحداً من أصدقائه . وخير
مثال لذلك السير هنري هولاند الذي سافر الى الخارج خمسين دفعة في خمسين

سنة اذ كان يسافر شهرين في كل سنة منفرداً غير متبع المثل المعروف « خذ الرفيق قبل الطريق » وكانت عادته أن يأخذ الرفيق من الطريق معتمداً على الظروف والمصادفات . ويقال إنه انتفع بحياته بخير ما يمكن أن ينتفع . ومن المساوىء صعوبة الرجوع من البلاد البعيدة عند إرادة الرجوع بسبب ازدحام الركاب في البواخر وفي قطر السكك الحديدية . وقد يضطر المرء الى اقتضاب السفر أو السياحة لأسباب قاهرة تقتضى رجوعه على جناح السرعة فلا يتيسر له ذلك إذا كان السفر بعيداً

ويمكن اتقاء هذه المساوىء كلها أو بعضها بحسن اختيار المضيف . ولقد كنت مسوقاً بهذه الاعتبارات كلها حينما نصحت للجُمهور المصرى في المقالة الثانية من هذه المقالات أن يفكر في مصيف جبال لبنان إذا أراد الاصطياف في خارج القطر . فاللغة واحدة ، والعادات والأخلاق تكاد تكون متشابهة . وقربه وسهولة الوصول اليه والرجوع منه يمكنك أن تسافر اليه للاصطياف أنت وأسرتك إذا أردت بزيادة نفقاتك زيادة يسيرة عن اصطيافك في رمل الاسكندرية مثلاً . والمصيف القريب مزية التمكن من الاشراف على العمل اذا لم يقصد الانسان الى الانقطاع عنه تماماً . وعيب هذه الطريقة أن الانسان لا يستفيد من إجازته أو من اصطيافه الفائدة التامة لعدم انقطاعه انقطاعاً تاماً عن الوسط الذى هو فيه وتغير الظروف تغيراً تاماً أما أمراض الاجازات أو السياحات فيمكن تقسيمها قسمين : قسم تحدث في أثناء الاجازة والسفر وينشأ عما يطرأ من التغير في ظروف المعيشة؛ وقسم يحدث عقب انتهاء الاجازة والرجوع من السياحة ويتصل سببه بها .

وأمرض القسم الأول هي ما يأتي :

الامساك بسبب ضرورات السفر، والنزلات المعوية بسبب اختلاف الطعام ونظامه ، والهدام وهو دوار البحر من ركوب البواخر ، والتعرض للأمراض المستوطنة في البلاد التي يقيم فيها المسافر ، وتمدد القلب من مشاق السفر وصعود المرتفعات والاستحمام في البحر أو السباحة فيه ، ولا سيما ذلك اذا كان القلب غير سليم

وأمرض القسم الثاني هي ما يأتي :

النزلات الأنفية والحلقية والصدريّة من السكك الحديدية والنوم في عرباتها ولذلك يفضل بعضهم قطع المسافات الطويلة بالسيارة اذا كان الجو مناسباً . وبذلك يمكن الاستغناء عن سكة الحديد . ومن أمراض هذا القسم التعرض للبرد عقب الرجوع من السياحة أو السفر مباشرة بسبب تلاشي المناعة المكتسبة من التلقيح المتقطع المتكرر غير المدرك مما يتم بما قد يكون في هواء المدن من المكروبات المختلفة : وتلاشي هذه المناعة بسبب نقاوة الهواء الذي يستنشقه الانسان في مدة سياحته . وكلما كانت المدة أطول زاد التعرض . ويقال إن المشتغلين من الأطباء بتشريح الجثث يصبحون بعد عودتهم من الاجازات والسياحات أكثر تعرضاً للعدوى بالدمامل وغيرها ، والسير جيمس باجيت من أنصار هذا الرأي لأنه يعتقد أن الجراح يقل تعرضه للعدوى بتعرضه اليومي للصيد ويزيد استعدادة للعدوى اذا لم يحصنه التعرض المستمر للصيد . وعلى هذا الرأي كثير من مشاهير الأطباء

(٤)

أغراض الراحات والسيارات

لك ، أيها المسافر ، أن تختار إحدى طريقتين :

(١) فإما أن تذهب سنة بعد سنة لمصيف قد اخترته وألفته فاصبح لك

وطناً ثانياً تضمن فيه ما يهملك من وسائل الراحة والسرور

(٢) وإما أن تذهب كل سنة الى بلاد جديدة لم يسبق لك العهد برؤيتها

فتزداد اطلاعاً وتتسع دائرة معلوماتك ومعارفك اذ ترى ما لم تره عينك ،

وتسمع ما لم تسمعه أذنك ، وتلم بما لم يخطر على قلبك . وهي الطريقة التي تناسب

من كان في ظل الشباب ورييع العمر ، ممتلئاً قوة ونشاطاً ؛ لانه لا يتعب ولا

يضجر من منظر لم يسره الا ويسارع الى منظر يسره . أما الطريقة الأولى

فتوافق من طوى مراحل الشباب وكاد يبلغ ساحل الحياة . واذا اتبع الإنسان

هذه القاعدة جمع بين الطريقتين بتناسخ الملون وتعاقب الجديدين . وإني وان

علاني المشيب الا أن معين الشباب لم ينضب ولذلك لم أجرب الا الطريقة

الثانية وقد اكون من المنتظمين فيها ، مستأذناً العلماء في استعمال هذه الكلمة

لانهما أكثر ما تستعمل في الدين خاصة فيقال تنظم في الدين أى توغل فيه

وتعمق . ذلك لأننى إذا دخلت بلداً حاولت اختراق شوارعه وزيارة أغلب

النواحي والضواحي ومشاهدة كل ما يهم الاطلاع عليه من الحقائق والآثار

المختلفة . فاذا فعلت ذلك انتقلت الى بلد آخر وهكذا . وانى أجد للنفس من

ذلك ترويحاً لها من عناء الاعمال وصرفاً لها عما ألفتها من جس النبض ورؤية

اللسان ، وقرع الصدر والبطن ، وإعمال المشراط والمسبار ، وغير ذلك مما يعمل

الطبيب منا في أثناء عمله صباح مساء وإيل نهار بشكل راتب أى دائم ثابت لا يختلف فعمل اليوم عمل أمس وعمل غد . وهذا مما يسوقنى الى الكلام فى الاسفار والسياحات أو الاجازات من الوجهة الطبية الصحية . وهى ترمى الى غرضين مختلفين : فاما الغرض الأول فهو ترويح النفس والتنزه ، وأما الغرض الثانى فهو اغتنام الراحة والتجديد

ويتم الغرض الأول بتغيير الظروف ، وبدفع النفس عما ألفته من الأعمال ، والهائى بشىء آخر تجد فيه لذة وسروراً . وتأثير هذا الغرض نفسانى لأن الانسان بخروجه عن المألوف من عمله يريح جزءاً من المخ ليروض جزءاً آخر رياضة صحية . وطرق الترويح كثيرة مختلفة فهى إما عقلية أو بدنية ، وإما فى داخل البيت أو فى خارجه . وهى لا بد أن تختلف باختلاف الاشخاص أمزجة وأذواقاً وأعمالاً . فالموظف الذى تقتضى أعماله حياة جلوسية يجد الترويح فى الرياضة البدنية من الالعاب الرياضية المختلفة ، ومن المشى والجري والصيد والسباحة ، وركوب الدراجات والسيارات والعربات ، الى غير ذلك مما يتجه به النشاط المخى الى جهة أخرى . أما العامل الذى يعمل عملاً بدنياً فترويح نفسه يكون بالمطالعة أو بالكتابة مما يرتاح به بدنه ويتغير فيه اتجاه النشاط المخى

وأما الغرض الثانى وهو اغتنام الراحة والتجديد فجزء من نظام الحياة كما يتضح من ضربات القلب التى هى عبارة عن عمل وراحة بصفة نظامية ، وكما يتضح من حاجة الانسان الى النوم ، وكما أن الناس يختلفون فى مقدار ما يحتاجون اليه من النوم فكذلك هم يختلفون فيما يحتاجون اليه من العطلة السنوية . والمعتاد تقديرها بشهر على الأقل وشهرين على الأغلب . ويقول بعضهم إن العطلة الأسبوعية النظامية قد تغنى عن العطلة السنوية . واكثر

ما تلزم الراحة للنشاط المخى لا للنشاط البدنى . أما النشاط البدنى فيكاد يكون ضرورياً للراحة العقلية ، ومن أهم ما يلزم للراحة العقلية تغير الوسط وتغير الظروف تغيراً تاماً . ويشبه بعضهم النشاط المخى فى المخ بكتابة على السبورة وهى اللوح يكتب عليه ويقول ان الراحة العقلية لا تتم إلا اذا عمد الانسان الى طلاسة وهى الخرقه يمسح بها اللوح فيمحو ما على السبورة من الكتابة محواً تاماً . ولا يتم المحو بالطلاسة الا اذا نزع الانسان عن وطنه واتقطع عن عمله المؤلف

ولقد نلت هذين الغرضين معاً بنزولى فى مرسين وهى الميناء الذى رست فيه الباخرة بعد اسكندرونة ، فاخترقنا شوارعها بسيارة وسألنا عما يمكن أن نراه فيها فدلونا على معبد قديم يسمى بمعبد حكمون ، فذهبنا اليه بالسيارة فاذا بنحو ١٦ عموداً أثرياً على شاطئ البحر هو كل ما بقى من هذا المعبد ، وفى اثناء سيرنا الى هذا المعبد ، شاهدنا أن الأرض خصبة جيدة ، صالحة للزراعة لا تنقصها إلا الأيدى العاملة ، والمشروعات النافعة ، لأننا رأينا نهراً صغيراً بالقرب من هذا المعبد يذهب مأوّه الى البحر عبثاً على حين الحاجة الشديدة الى الماء ، وهذه هى حال اضايا وهى التى نزلنا فيها بعد مرسين ، فقد شاهدنا ونحن بالباخرة وعلى بعد ساعتين منها تقريباً ماء عيونها المختلفة وهو يتدفق فى البحر . ولما تفقدنا البلد وجدنا القوم قد استعملوا انحدار هذه المياه لادارة طواحين مختلفة لطحن الغلال وذقنا ماء بعض هذه العيون فاذا هو عذب زلال خالص لا ملوحة فيه وبارد كأنه مثلوج . ورأينا بالقرب من هذه العيون جملة حدائق تنقصها الأيدى العاملة ، ولا أظن أن دائرة المشروعات النافعة التى يمكن أن تمتد اليها يد الإصلاح ، مع انحدار المياه انحداراً قوياً كما رأينا

تتخصر في بضع طواحين . ولقد استخلصت مما رأيت في مرسين واصلها أن تركيا في أدوار حياتها القريبة التي كانت تنكمش فيها تدريجاً بسبب ما فقدته من أطرافها المتناثية أقول إن تركيا في هذه الأدوار كانت كالطبيب العام الذي له دراية بجميع فروع الطب دراية تجعله طبيب ضرورة يعالج بها الأمراض المختلفة البسيطة علاجاً بسيطاً . أما العلاج التفصيلي فلا يحسنه ولا هو من عمله . أما تركيا الحاضرة بعد أن نقصت أطرافها وانحصرت فيما وصلت إليه ، فأرجو أن يكون مثلها كمثل الطبيب المتوفر على فرع واحد من فروع الطب ينصرف إليه بكل همته ويثقنه اتقاناً يبلغ حد الكمال

(٥)

جزيرة رودس

لقد استدرجتني الملاحظات التي ذكرتها في هذه المقالات الى تضمينها كثيراً من الفوائد الصحية بشأن الأسفار والسياحات ولم يبق الا النصيحة الآتية اذكرها اتماماً للفائدة قبل استطرادي الى جزيرة رودس التي انتقلنا اليها بعد مغادرتنا اصاليا . والنصيحة هي :

قد يستبد المرء برأيه ويتبع هواه فلا يستشير طبيبه مثلاً ، أين يمضي اجازته ، ومتى يأخذها ، وكيف يستغلها استغلالاً يعود عليه بالفائدة . ويعتمد في كل ذلك على نفسه على غير ما يفعل اذا كان مريضاً يبتغي الشفاء لعلته في أحد الينابيع المعدنية ، فانه وقتئذ كثيراً ما يفرع الى الطبيب يستكتبه

« شهادة بالأجازة » اذا كان موظفاً ثم يستوصفه لدائه عن خير الناييع . أما في غير أحوال المرض فالملتاد أن يسترشد الانسان بشركات السياحة والسفر كشركة كوك وشركة مصايف لبنان مثلاً . وقد يكون للمرء بعض العذر في هذا الاهمال لانه يحسب الإجازة خروجاً من السجن، وانطلاقاً من كل قيد ورجوعاً الى حياة الحرية، ومن ذا الذي يرضى ان يقيّد نفسه وهو حر . وما كان ذلك ليمنع القائمين بأمر الصحة العامة والعاملين بكل جهدهم على تحسينها أن يهتموا بهذه المسألة اهتماماً كبيراً لما لها من التأثير العظيم . وبدأ القوم في البلاد الراقية يشعرون بضرورة استشارة الأطباء حتى وهم أصحاء في أمر الأجازات وأوقات الراحة . وأصبحوا يسألون متى يأخذونها وأين يمضونها، وكيف يستغلونها ، الى غير ذلك من الأسئلة التي قد تُكسبهم كل ما في الأجازات من الفوائد . نعم قد أصبحت هذه الاستشارة ضرورية لاتقاء كثير من المتاعب

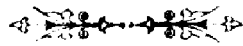
ولأضرب لك مثلاً ، موظفاً من متعددي الحياة الجلوسية يقوم بإجازة فيعمد مباشرة ودفعة واحدة إلى رياضة بدنية عنيفة ، بغير أن يستدرج قلبه وعضلات بدنه إلى هذا الجهد فانه كثيراً ما يتأذى ولا سيما اذا كان كبير السن . أما إذا كان شاباً قوى البنية لا يتأثر بهذه الرياضة العنيفة المفجائية ، بما في قلبه من القوة الاحتياطية فلا أقل من أن يعود الى عمله بعدها وهو مضمّن من التعب لا يزال يميل الى الراحة ، هذا إلى أن الإنسان قد يضطر في أثناء سياحته وسفره الى الصعود الى أما كن مرتفعة أو إلى القيام ببعض أعمال شاقة ، وهذه كلها مما يقضى تقليل خطرهما بالفحص عن حالة المسافر قبل السفر وتعرف حالة قلبه وحالة الضغط الدموي عنده وحالة أوعيته الدموية الى

غير ذلك من الأشياء التي يمكنك أن تعتبرها « جرداً » لقواه للسير بمقتضاه
ومن مزايا هذه الاستشارة تزويد المسافر أو السائح بالنصائح الضرورية كاتقاء
التعب ، وكاتقاء الافراط في الأكل اجابة لتنبه الشهوة في اثناء السفر وكاتقاء
الاضطراب والقلق مما يقتضيه الانتقال من مكان الى مكان

أما جزيرة رودس التي وعدتك بالكلام عليها في البحر الأبيض المتوسط
والى الجنوب والغرب من شاطئ آسيا الصغرى ، وعلى بعد اثني عشر ميلاً
منها ، وطولها نحو خمسين ميلاً وعرضها نحو عشرين ، وتحترقها سلسلة جبال
يبلغ ارتفاعها نحو أربعة آلاف قدم ، وأرضها خصبة مهيمة ، وتروى أراضيها
بطامبات تدار بالمراوح الهوائية ، وهوائها عليل ومنظرها جميل . وهى من
الجزر التي يقصد اليها الأروام الاصطياف فيها ، فقد قابلنا كثيراً منهم وكانوا
يكلمونا باللغة العربية ، وهى مصيف جميل يصح أن يصطاف فيه المصريون
لقربه من مصر ، ومما يسهل الإقامة فى هذه الجزيرة الفندق الكبير الذى
عزم الايطاليون الذين يحتلونها الآن على تشييده هناك على ما سمعنا من أهل
الجزيرة . وهى من الجزائر التي فقدوها الأتراك فيما فقدوا . والفواكه فيها كثيرة
جيدة رخيصة . وكان فى الجزيرة تمثال هائل كبير الحجم بالقرب من الميناء
ويقال إن طوله كان يتفاوت بين ٩٠ قدماً و ١٢٠ قدماً . وكان من عجائب
الدنيا السبع . ولسوء الحظ سقط هذا التمثال بعد إقامته بنحو ست وخمسين سنة
بزلزلة ، وبقي التمثال الساقط فى مكانه زمناً طويلاً حتى باعه قائد عربى لتحويل
معدنه الى نقود على ما سمعنا

ولا يفوتنى أن أذكر اننا رأينا فى رودس كنيسة يذهب اليها بعض
فقراء الأروام للإقامة فيها بضعة أيام مجاناً كأنها تكية فاذا ما غادروها تبرعوا

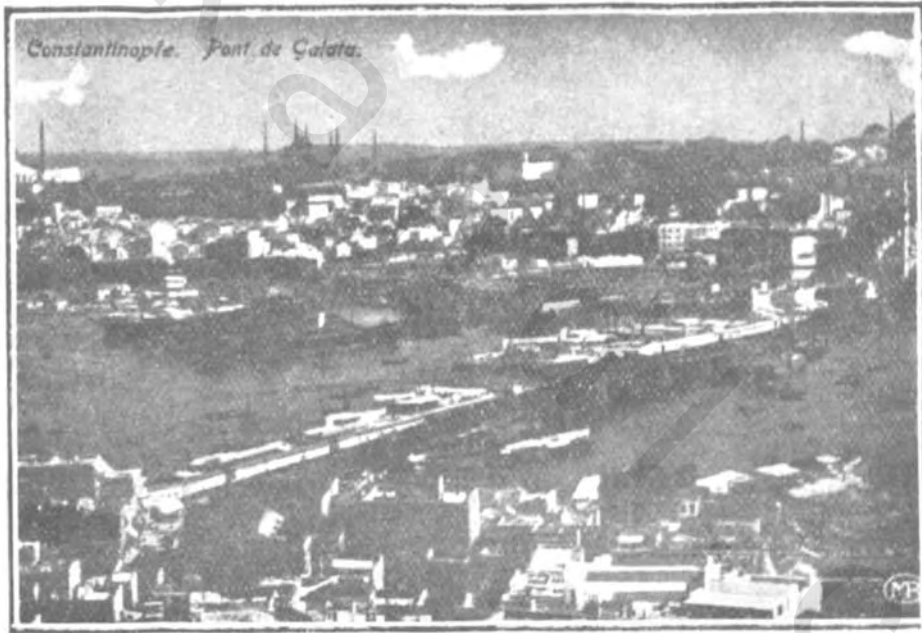
للقائمين بأمرها بما تجود به أنفسهم . وسارت السفينة من رودس الى أزمير
وهي من أقدم مدن الأناضول ، ولها تاريخ قديم لا محل لذكره . أما تاريخها
الحديث فلا يزال عالقاً بالأذهان ، فقد أعطتها معاهدة سيفر هي والايالة التي
هي عاصمتها الى الأروام مما اضطرهم الى ابقاء جيش كبير لاحتلالها ومنع
الاعتداء عليها ، وقام هذا الجيش بمهاجمة الأتراك ودفعهم الى جوف الأناضول .
وساد أزمير بعد ذلك سكون كالذى يسبق العواصف وينذر بحدوثها . ولقد
حصلت هذه العواصف فعلاً في أغسطس سنة ١٩٢٢ إذ قام الأتراك
أو الكماليون على الأصح بهجوم شديد ، فطردوا الأروام ودخلوا المدينة
منسورين في ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٢ . وللأسف لم تدم لذتهم بالانتصار طويلاً
لأن النار قد شبت فيها في مساء ١٣ سبتمبر ، أى بعد دخول الأتراك فيها
بأربعة أيام ، وقدرت الخسارة بأربعين مليوناً من الجنيهات ، ولقد كانت آثار
الحريق أهم ما شاهدناه في المدينة . ولقد رأينا أيضاً فيها بعض آثار التجديد
الذى يقوم به دولة الغازى مصطفى باشا كمال



(٦)

وصف الاستانة

تركنا أزمير وولينا وجهنا شطر الاستانة فاجتازنا في سيرنا الدردنيل الذي جعلت له الحرب العظمى شهرة تاريخية لا تنسى ، فبحر مرمره ، ثم وصلنا الى البسفور ؛ وهو البوغاز المشهور بجمال منظره ويصل البحر الاسود ببحر مرمره ويفصل الشاطئ الاسيوى عن الشاطئ الأروبي . وفيه تسير بواخر صغيرة



(١) الاستانة - جسر غلطة

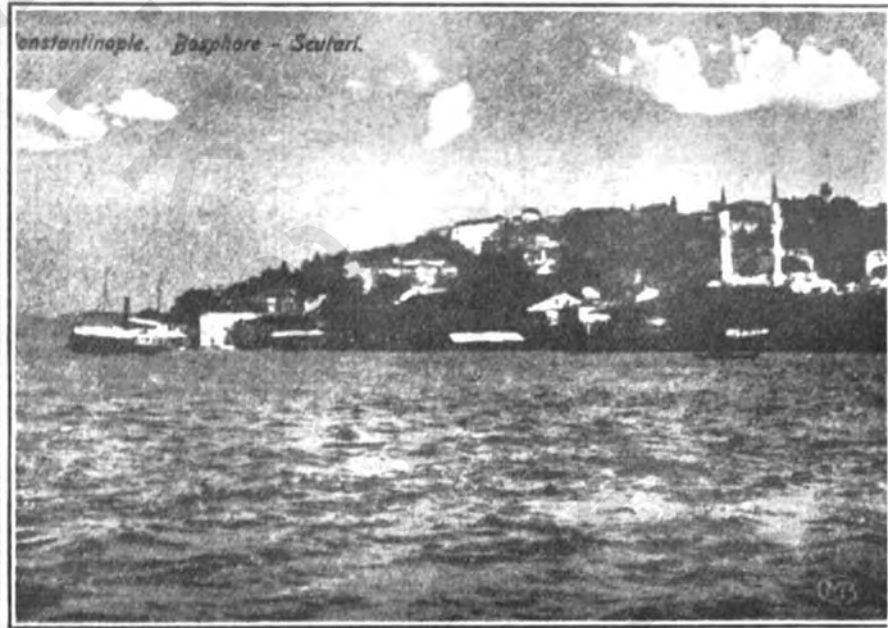
ذهاباً وإياباً لنقل المنتقلين من مكان الى مكان . ولهذه البواخر شأن كبير في تعمير جانبي البسفور وتسهيل مواصلات السكان . ويكاد يكون شأنها هناك كشأن مركبات الترام في تعمير ضواحي القاهرة

وصلنا الى الاستانة في مساء الأحد فأخذنا سيارة وانتقلنا تَوَّاً الى فندق طوقتليان الذى فى طرايه وهى إحدى المحطات التى ترسو فيها هذه البواخر . ولقد وجدناها تموج بالناس وخيل الينا كأننا فى سان استفانو برمل اسكندرية لولا ما رأيناه هناك من تساوى عدد السيدات المنتزهات بعدد الرجال المنتزهين تقريباً ولولا ما رأيناه من أن السيدات سافرات الوجوه قلما يستطيع الانسان أن يميز بين المسامات وغير المسامات . ويكاد أغلبهن يضعن على رأسهن طريجة يجمعن أسفلها شعر الرأس فلا يكاد يبدو منه شيء . وأصبح أغلبهن يحلقن الشعر من الخلف . وقد تكون الطريجة من قماش الفستان نفسه . وان لم تكن كذلك فمن لون يتفق ولونه . ولست أدري ما حكم الشرع فى حلق الشعر بهذا الشكل ؟ وهل حائقات الشعر بهذا الشكل يدخلن فى من قال فى حقهن النبي صلى الله عليه وسلم « لعن الله المجهمات من النساء هن اللواتى يتخذن شعورهن حمة تشبه بالرجال » والجملة من الشعر أكثر من اللمة وهى الشعر المجاوز شحمة الأذن . ويقال إن الجملة هى الشعر اذا بلغ المنكبين . والذى يزيد فى حيرتى حديث عائشة رضى الله عنها حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وقد وفقت لى جميمة أى كثرت والجميمة تصغير الجملة . وكانت لىالى الفندق ساهرات راقصات ولا سيما لىالى الأحد والاثنين أى مساء السبت والأحد . وكنا نرى السيدات يرقصن مع الرجال ولا ندري أفيهن مسلمات أم لا . واكبر الظن أن فيهن مسلمات واعتقد ، ولست أبالى أن يقال إنى من المحافظين أو الرجعيين ، أن بدعة الرقص هذه بدعة ضالة وقانا الله شرها نحن معاشر المصريين والمصريات . أما مسألة السفور فمن العبث الكلام فيها ، لأنك إما ان تحسب السفور من مظاهر المدنية

ومقتضياتها فاذكر بك قول دولة الغازى مصطفى كمال فى النادى التركى فى
اينه بولى مساء ٢٧ اغسطس الماضى فى خطبته « لا فائدة من مقاومة سيل
المدنية المتدفق فانه لا أمان لهذه المدنية التى تحرق الجبال وتسخر الاجواء
وترقب النجوم التى لا تنظر بالعين كما تنظر سائر الأشياء وانه من العبث
مقاومتها وهى التى تنير سبل المباحث العلمية وتبسط الحقائق بأفكار القرون
الوسطى فان كل أمة تحاول أن تثور على هذه الحالة لا بد أن تصبح أسيرة
ذليلة اذا لم تتح »

واما أن تحسب السفور بعيداً عن المدنية ووقتئذ لا يكون الفوز
لأنصار الحجاب . ويصح أن أذكر بهذه المناسبة ما لا بد أن يذكر مما لاحظته
وذلك أن الرجال أو إن شئت فقل ان الشبان يفضون من أبصارهم وان
السيدات يفضضن من أبصارهن غضاً كأنه منهم ومنهن سجية — غضاً
يدركه الانسان بقليل من الملاحظة — غضاً لو رآه أنصار الحجاب عندنا
لأصبحوا من أنصار السفور . وبودى أن أسهب فى هذا الموضوع لأن فى
النفس حاجة ، لكن فىك فطانة تغنى عن الاسهاب . وقد يتحدى الرجال
فى الغض من أبصارهم حتى أنهم يتجاهلون وقوفهم أمامهم أو بالقرب منهم
فى البواخر الصغيرة التى ذكرتها وفى مركبات الترام فى أثناء الازدحام فلا يقوم
الرجل لتطمئن السيدة فى مجلسه اتباعاً للعادة الأجنبية المحمودة أو اتباعاً
لما قد يشاهد فى مصر اذا كانت السيدة عادة حسنة لا عجوز شماء . ولست
أدرى لم يقصر الأدب التركى عن الأدب الافرنچى فى هذا الاحترام . وجدى رى
ألا أنسى أن أذكر لك نوعاً غريباً من الرياضة البدنية شاهده ذات يوم
وأنا جالس فى الفندق فى شرفة تطل على السفور . فقد رأيت سفينة بخارية

صغيرة يمتد من مؤخرتها حبل يبلغ طوله نحو خمسة أمتار مربوط في طرفه لوح مستطيل من الخشب واقفة عليه سيدة بلباس البحر وممسكة بكلتا يديها حبلاً آخر ممتداً من مؤخرة السفينة أيضاً . رأيت هذه السفينة سائرة في البحر بسرعتها الاعتيادية تجر وراءها اللوح الذي عليه السيدة وكانت تكيف نفسها وتسير حركات اللوح في ملطم الامواج فكنت أراها تارة تنحني إلى الامام



(٢) منظر من مناظر البسفور - الشاطئ الآسيوى

وتارة تدفع نفسها إلى الوراء ، وتارة تميل ذات اليمين وتارة ذات اليسار . فاذا اشتدت الأمواج واضطرب اللوح غمرها الماء واختفت عن الأبصار . وقتئذ كنت أرى السفينة تقل سرعتها وتكاد تقف وقد تقف الى أن يطفو اللوح وتعلوه . ولبثت السفينة في سيرها والسيدة في رياضتها على نحو ما ذكرت نحو نصف ساعة كان المنظر في أثناءها مما يسر الناظرين

(٧)

في وصف الاستانة أيضاً

هذه هي آخر مقالتي في هذا الموضوع . وسأقص عليك فيها ما بقي من ملاحظاتي التي لاحظتها في أثناء اقامتي بالاستانة . ولقد كفاني المقطم الأغر مؤونة التطويل بما ذكره قريباً من مظاهر التجديد وعوامل الإصلاح وكلها تنحصر في محاولة التشبه بالغريين لباساً وزياً وأخلاقاً وطلباً للعلی بجميع



(٣) جامع أياصوفيا

وسائله . ومن الغريب قيام بعض المصريين لانتقاد ما يعمله الترك كأننا فرغنا من اصلاح شئوننا ولم يبق الا أن نهدي غيرنا بسواء السبيل . أليس من حسن الاسلام أن نترك ما لا يعنينا ونهتم بما يعنيننا ؟ وحسبهم شرفاً أنهم

يقولون ما يفعلون ويفعلون ما يقولون . ولا أزيدكم علماً بما نحن فيه منهم مكون .
ولأبادر الى ذكر الملاحظات مخافة أن أقع في ما وقع فيه غيرى لأننى ما فرغت
من اصلاح شئونى حتى يصح أن أعرض لشئون غيرى . وهاهى الملاحظات :
عزمنا على التوجه جزيرة برنكيو . وهى اكبر جزائر الأمراء وأجملها
منظراً . وجزائر الأمراء تسع . وكلها فى الطرف الشرقى من بحر مرمره وعلى
بعد نحو عشرة أميال من الاستانة والى الجنوب الشرقى منها . فركبنا باخرة صغيرة
كبواخر البسفور أو اكبر قليلاً . وكان ذلك فى يوم جمعة فرأينا الازدحام شديداً
جداً فسألنا عن السبب فاخبرنا أن يوم الجمعة يوم عطلة رسمية ولا تحسب أن
العطلة الرسمية فى الاستانة كيوم العطلة الرسمية فى مصر : فيه تقفل مصالح
الحكومة ودواوينها ومدارسها خسب . فالعطلة الرسمية فى الاستانة أكثر من
ذلك . ففى يوم الجمعة تقفل مصالح الحكومة والدواوين وتناق الحوانيت
والمخازن التجارية . وجميع المصارف المالية ، لا فرق فى ذلك بين المسامين وغير
المسامين وبين الوطنيين والأجانب . فكلهم سواء فى اتباع أمر العطلة . فإذا
عطلت المصالح فى هذا اليوم فليس أمام القوم إلا النزده ، وهذا هو سر الازدحام
واقده كان الازدحام شديداً حتى إنى شبهته بيوم شم النسيم فى مصر ففيه
تشارك جميع الطوائف فى العطلة وفيه تشارك جميع الطوائف فى الخروج
الى المتنزهات المختلفة . واقده رأينا بعض القوم يغنون ويطربون بنوع من
المزمار كما تراهم يفعلون ذلك فى القطار ، وهم فى طريقهم الى القناطر الخيرية مثلاً
فى يوم شم النسيم . ولما رست الباخرة فى برنكيو ونزلنا الى البر كان على النازلين
أن يمروا بين صفوف كثيرة من المتفرجين والمتفرجات والمتنزهين والمتنزهات
ليصلوا الى حيث يريدون . وكانت تلوح على وجوههم جميعاً علامات البشر

والسرور كأنهم في يوم عيد . والجزيرة مصيف من أحسن المصايف لأنك تجد فيها ما يذهب الحزن من الأنواع التي ذكرها القائل في قوله :

ثلاثة تنفي عن القلب الحزن الخضرة والماء والوجه الحسن

فالخضرة في أرضها وفي جبالها ، والماء في بحرها وحماماتها والوجه الحسن في سكانها وزوارها . هذا الى أن وسائل الراحة ووفرة في فنادقها . ولئن سمي الانكليز جزيرة وايت فردوس انكلترا فجدير بالاتراك ألا يخلوا على هذه الجزيرة باسم فردوس الاستانة . ورأي أنها لا تقل كثيراً عن جمال جزيرة وايت وما كان احتفاء القوم بيوم الجمعة على نحو ما ذكرت ليقال كثيراً من شأن يوم الأحد . فقد ذهبنا في يوم الأحد الى حديقة تسمى بحديقة تقسيم وهي قريبة الشبه بحديقة الازبكية وتخص بلدية الاستانة . وفيها كشك للموسيقى كما في حديقة الازبكية يعزف فيه جوق الموسيقى الرسمي . وفيها مكان للتمثيل إلا أنه غير مكتوم لأنه في الهواء الطلق وفيها « قهوة » كبيرة يطل الجالسون على كراسيها على البسفور . وكان خير ما أعجبنى وجود دار التمثيل في الهواء الطلق ، وقلت في نفسي حبذا لو اقتدينا بهم في ذلك وجعلنا أغلب دور التمثيل عندنا في الحدائق والخلوات فنحن أحوج الى ذلك منهم ويكون الجلوس فيها أنفع للصحة من الدور المكتومة

ومن الحوادث ما حدث يوم ازمنت السفر من الاستانة فقد وصلنا الى الرصيف وكان لابد من التأشير على جواز السفر يؤثر عليه موظف يقدم اليه الجواز من نافذة يتزاحم عليها المسافرون كما يزدحمون عندنا في المحطات لقطع تذكرة سكك الحديد . وقفت مع الواقفين وكدت أصل الى غرضي قبل دوري بشيء من المزاحمة الضرورية في مثل هذه الظروف فلمحني انكليزي

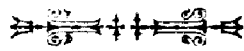
مع زميل له كانا من جملة المنتظرين وقال : يجب أن تنتظر ، نحن قبلك . فاجبت : معك حق ، وسأقدم بعدك . وانتهى أحد المتقدمين وخلا مكان فأوحيت إليه أن يتقدم فتقدم . وانتهى آخر وكان على الانكليزي الدور ولم يكن ملتفتاً لأنه كان يتكلم مع صاحبه فأوعزت إليه أن قدم جوازك فقدمه . لكن الموظف مديده وسحب مني جوازي على بعده منه وترك جوازه على قربه منه . فلم يسمنى إلا أن أعطيته إياه شاكراً له في نفسى تقديمي عنه أسفاً على تقديمي عليه بالرغم مني . فاغتاظ الانكليزي وظهرت عليه بوادر الغضب وصار يقول : « لكن لماذا ؟ هذا دوري ! لا أعرف السبب » ولست أدري أكان يعرف الموظف الانكليزية أم لا . وعلى كل حال فقد مضى في سبيله كأنه لم يسمع شيئاً ولم يك عتياً

وتكاد هذه الحكاية تبوح بمغزائها

فما من الاستانة الى أزميز ، ثم رجعنا الى جزيرة مدلى ومنها الى بيرية . فسألنا عن الحكمة في سير الباخرة بهذا الشكل وكان جديراً بها أن تقوم من الاستانة الى مدلى فأزمير فبيريه . فعرفنا السبب . وقلت قاتل الله الحروب فانها كالأمراض تفتك الأولى بالبلاد كما تفتك الثانية بالأجسام . فاذا زالت الأمراض تركت الأجسام في دور النقه غير مستردة تمام صحتها إلا بعد حين قد يطول أو يقصر حسب شدتها ومدتها . وكذلك الحروب اذا انتهت تركت البلاد في دور النقه غير مستردة تمام ودها إلا بعد حين يطول أو يقصر حسب شدة الحروب ومدتها

ولما وصلنا الى بيريه ذهبنا منها الى أثينا عاصمة اليونان فسمعنا أنها سائرة في طريق العمران سيراً حثيثاً بقدم الذين هاجروا من الأرمن والأروام من

الاستانة وأزمير اليهما وعددهم لا يستهان به وأكثرهم من الأغنياء فكانت النتيجة أنهم أخذوا يشترون الأراضى من الفقراء الذين لم يستطيعوا أن يعمروها فتضخم المال عند هؤلاء الفقراء وسيتم العمران قريباً فى الأراضى التى كانت متروكة وسيسعد البلد بهم . وكيف لا تسعد بلاد أهلها على جانب عظيم من الوطنية الحقبة التى تعمل كثيراً ولا تقول إلا قليلاً . فقد سمعنا أن الأروام يقاطعون التاجر الذى يستورد بضائعهم من الخارج مقاطعة قد تضطره الى المهاجرة . ويحكى أن أحدهم جلب من الخارج أصنافاً مختلفة من الأحذية فقاطعه مواطنوه مقاطعة جعلته يأتى الى مصر ببضاعته بعد أن يئس من بيعها فى بلده وقرب من الافلاس . ولو عرفت هذا الرجل لبشرته بمستقبل باهر ونجاح عظيم بحسن اختياره البلد المشهور أهله باكرام الضيف وتفضيل الغريب على القريب . وفى هذه الحكاية الكفاية لمن يعتبر وههنا أشعر أنى كدت أدخل فى السياسة ولست من رجالها فلا أخرج منها بسلام



(٨)

فوائد المؤتمرات

وفقت للسفر لحضور المؤتمر الجراحى الدولى السابع الذى عقد فى روما فى اليوم السابع من الشهر الماضى ^(١) . وتعقد الجمعية الجراحية الدولية التى تأسست منذ ٢١ سنة فى بروكسل عاصمة البلجيكي . ويعقد مرة كل ثلاثة سنوات فى مكان يقرره المؤتمر الأخير قبل انقضاؤه . فكان فى سنة ١٩٢٣ فى لندن وفى هذا العام فى روما وسيكون فى سنة ١٩٢٩ فى فرسوفيا ، وله رئيس دائم من كبار أطباء البلجيكي ، ويعين لكل مؤتمر رئيس يوم يحدد مكانه . أما أعضاؤه فصفوة جراحى البلاد المختلفة . وغرضه النهوض بفن الجراحة والمؤتمرات فوائد ، اذ تجتمع الناس من كل الطوائف ، وفى كل أديان الحياة ، اجتماعات دورية للمناقشة فى المهم من المسائل التى تخصهم ليزدادوا تجارب وايوسعوا دائرة معارفهم فيتعلم من لا يعلم ممن يعلم ، وبذلك تتقدم العلوم والمعارف والفنون . وفى صناعتنا نحن معاشر الأطباء وهى الصناعة التى ترمى الى مساعدة اخواننا ومنفعتهم يتحتم علينا أن نستفيد من تجارب الغير وأن توسع مداركنا لما فى ذلك من الخير العظيم الذى يعود على مرضانا الذين يعتمدون علينا فى تحسين صحتهم والمحافظة عليها وحصول واستردادها لهم زائلة فمن واجب على حضور المؤتمرات غير متخلف عنها لا بد أن تزداد معلوماته ، ولو لم يشترك مع المحاضرين فى المناقشة أو يلقي هو نفسه عليهم تجاربه لأنه يستفيد مما يسمعه فى أثناء حضوره .

وما أعظم أجر من يشترك مع المحاضرين فى المناقشات أو يفتح موضوعاً

(١) نشرت هذه المقالة فى مقطع أول مايو سنة ١٩٢٦

بنفسه لأنه بذلك ينقل إلى الآخرين معلوماته وأفكاره ، ولا تحسبن أن ذلك لا يعود عليه بشيء من الفائدة فعمله هذا مما يضطره الى التعمق في الموضوع



(٤) أعضاء المؤتمر الجراحي الدولي الذي عقد في لندن في إبريل سنة ١٩٢٣

الذي يعالجه تعمقاً شديداً بحيث لا يترك فيه صغيرة أو كبيرة إلا ويلم بها وهذه حالة من أراد المناقشة أيضاً

وليس حضور المجتمعات والمؤتمرات ، وسماع المناقشات والمحاضرات ، ليس كل ذلك مما يفيد الناشئين أو المبتدئين خصب ، بل كثيراً ما يفيد الأساتذة والمجربين . وليس كل ما يقال فيها مما يؤدي إلى التحسين والتقدم ، بل قد يكون بعضه مما يجب أن ينفي ويحذف من جدول الموضوعات والمناقشات ، ولا تحسب أيضاً أن من اللغو سماع هذه المناقشات أو الأقوال لأنها تعلمنا كيف نثقي خطأ الغير

ولبعضهم أن يقول أنه يستطيع أن يقرأ كل ما يذاع ويشاع ويقال في هذه المؤتمرات في تقاريرها أو فيما يذكر عنها في المجلات الخاصة بها ، وهذا صحيح . وقد يكون في مطالعة التقارير شيء من الفائدة الجليلة بمطالعتها بتأن وتريث في الوقت المناسب مطالعة هادئة دقيقة ، لكن من الصحيح أيضاً أن رؤيتك الشيء ليس كسماعك إياه ، وإن سماعك الشيء من المحاضر نفسه ليس كمطالعتك إياه . وقد يما قليل وما راء كمن سمع . ذلك لأن رؤيتك الشيء في المؤتمر أو سماعك المحاضرة من المحاضر كثيراً ما يكون أكثر انطباعاً في نفسك وأرسخ تأثيراً في قلبك من المطالعة

ولحضور الاجتماعات والمؤتمرات في نفس المؤتمرين تأثيرات نفسية مختلفة كالتى تحدث في نفسى ، وهذه التأثيرات تلخص في الاعجاب بالمتكلم أو بموضوعه أو بطريقة القائه ، وفي الشعور بالخطاطك عن الغير وتواضعك عنه لأنك لم تتشبه به ولم تنح نحوه ، وفي نزوعك للتشبه به عملاً وخطاة وطريقة ، وفي اعتزامك ألا تهمل هذا أو ذاك مستقبلاً ، وفي أسفك على ما فاتك مما فاتك

والاعجاب بالمتكلم ، والشعور بالانحطاط عن الغير ، والنزوع إلى التقدم

والاعتزام ، والأسف ، كل ذلك مما يسوقك إلى الصعود على سلم الكمال
ومما يدفعك الى القيام بواجباتك خير قيام

وان بقينا في وطننا ولم ننزع عنه غير خارجين عن دائرة عملنا فقد يكون
عملنا جيداً نافعاً وقد يبقى في دائرتنا فلا يتعداها ولا تنتشر أفكارنا ولا تنزع
آراؤنا ولا يستفيد غيرنا . لأعمالنا الجيدة تأثير حسن لكنه قليل لأن الزملاء
لا يعرفون هذه الأعمال إلا بعد زمن طويل . أما اذا سمحنا للزملاء بالنظر
في أعمالنا كما يحدث في المؤتمرات ، فالأعمال الجيدة تعرف سريعاً وتقدر حق
تقدير وتذاع منتشرة

ولنا في كبار الأطباء أحسن أسوة . فانهم يحضرون هذه المؤتمرات
 ويفتتحون الموضوعات ، ويتناقشون ، ويعملون على تقديم الفن معلمي غيرهم
لا يخلون عليهم . وقد يتعلمون ممن هم أصغر منهم غير متكبرين
وكثيراً ما يزداد التآلف بواسطة المؤتمرات بين الأعضاء بعد التعارف
فتوثق عرى المحبة بين الأعضاء في البلاد المختلفة مرتبطين

فقد تشرفت بمعرفة جراحين من إنجلترا ، والسويد ، والنرويج ،
وفرنسا ، والدانمارك ، واسلندة ، واستراليا ، وبولونيا ، وروسيا ، واليابان ،
والأندلس ، والبرتغال ، وكندا ، والولايات المتحدة

وتاريخ الطب حافل بما لتبادل الآراء بهذه الطريقة من المنافع والفوائد العظيمة
ولا ينبغي أن تقتصر الاجتماعات على أبناء البلد الواحد لأنه كلما تعددت
الأعضاء أجناساً وازدادوا أعداداً عظمت الفائدة وكانت أتم

وما المؤتمرات الا صورة مصغرة من الحج الذي كتب على المسلمين لمن
استطاع اليه سبيلا ، ولو أدرك المسلمون ما فيه من المزايا التي لا يستهان بها

لسهلوا السبيل اليه واستخدموه لأغراض كثيرة دونها فوائد المؤتمرات . بل لو كتب الحج على غير المسلمين ممن لم يعجزهم الوصول الى أعلى الجبال بالسكك الحديدية الكهربائية ، واختراقها والسير في باطنها مسافات طويلة بالسكك الحديدية ، وممن لم يعجزهم التحليق في السماء أو الغوص في الماء بالغواصات ، أقول لو كتب على غير المسلمين من مثل هؤلاء لرأيت العجب . فهلا يرى العلماء من المسلمين أن من العار كل العار أن يبقى طريق الحج في هذا العصر كان يوم فرض الحج . تلك والله عبرة لمن أراد أن يعتبر

(٩)

الحديث سجون

سافرت في القطار المخصوص الذي يوصل الركاب من محطة مصر الى اسكندرية القبارى فيصلعون الى الباخرة مباشرة . وودعنى على المحطة لفيق من صفوة الاصدقاء كان لوداعهم فى قلبى اطيب الأثر . ولما تحرك القطار جلست فى مقعدى فى الصالون وكنت فيه وحدى فعمدت الى جريدة السياسة اطالعها . وبعد قليل دخل على فى الصالون رجل متحطم ، ذاهب ، كبرت سنه فرق جلده ، ودق عظمه ، ومعه سيدتان فى مثل عمره أو أقل قليلاً . وأخذ الرجل يدفع الغبار عن المقعد الذى يجانبي والتفت الى قائلاً : لقد دفعنا الأجرة بحساب الدرجة الأولى فاذا نحن فى الدرجة الثانية !

فقلت : هون عليك ياسيدى فان الفرق بين الدرجة الأولى والثانية هو هذا الباب وأشارت الى الباب الصغير الذى يفصل الدرجة الأولى عن الدرجة

الثانية لأن العربة كانت ذات شطرين شطر الدرجة الأولى وشطر الدرجة الثانية فالفرق وهمي أكثر منه حقيقي

فقال : هذا صحيح

ثم استطرد الى موضوعات شتى فشكا الى مما وجده في مصر من طمع التجار في السائحين من الاجانب . وضرب لى مثلاً عباءة حريرية أراد أن يشتريها لأحدى السيدتين اللتين معه فطلب فيها التاجر منه خمسة وأربعين (دولاراً) ريالاً وهي لا تساوى في نظره هذا المبلغ

فقلت : إن الكثير من حسنات السفر والسياحة تستغرق اليسير من السيئات والمصاعب التي قد يصادفها الإنسان في سفره ، وما أظن إلا أن الطمع في السائحين من الأجانب عادة شائعة يشهدها الإنسان في كل البلاد فقال : نعم ، لكن لو كانت الأثمان محددة لأخذ الإنسان الحاجة مطمئناً ولو كان مغلوباً

فقلت : فلنحسب أن ثمنها كان محددًا ولا تكن مكروباً فضحك الرجل وعرفني بنفسه فإذا هو أمريكي من نيويورك فعرفته بنفسى ، ولما عرف انى طيب غير منجى كلامه فجعله في المسائل الصحية فقال : لقد سررت جداً من آثار أجدادكم وهي ولا شك تشهد بفضلمهم وتقديمهم ولكن بقينا طول المدة التي مكثناها بمصر ونحن خائفون من الأمراض لرداءة الحالة الصحية في البلد

فقلت : كيف ذلك

فقال : رأيت شوارع كثيرة ضيقة قدرة مزدحمة بالناس . وكثيراً ما كنت أرى الأطفال يغطى وجوههم الذباب وهم في حالة قدرة . ولقد كنا

نشك في صلاحية الماء للشرب . وها أنت ترى بعض المساكن غير صحية
وأشار إلى بعض العزب مما يشاهد على جانبي الطريق بالقطار
فقطع بي وما استطعت الكلام ولا زدت على أن قلت : أما والله لو أن
لنا حكومة حكومتكم تقدم الأهم على المهم وشعباً كشعبكم رقياً وأخلاقاً
وتعاملاً يتنجز حكومته حقوقه ويقوم بواجباته اصرنا الى حال ترتضيها وكنا بها
نحن من المغتربين

وبعد ذلك سكنت مفكراً فرأيت من واجبي أن أدافع عن مصر كما يدافع
الحامي عن المتهم وهو عالم بارتكابه جريمته ، وأن أقول له في ذلك عذراً ولو
كان أقبح من الذنب

فقلت : تعلم ياسيدي أن الاحتلال لبث فينا نحو أربعين سنة أراد فيها
اصلاح شئوننا ومن الحق أن تبقى عليه مسؤولية التقصير فيما أراده من الاصلاح
واقدر استدبرنا عهد الاحتلال بحسناته وسيئاته ، واستقبلنا عهد الاستقلال
بأعبائه وتبعاته وعللنا النفس ببلوغ الآمال . ولكن اختلاف الناس لسوء الحظ
في هذا الاستقلال . فقال فريق إنه استقلال لا شك فيه . وقال فريق إنه
استقلال مزيف مما أدى الى التخاصم والتشاحن والانصراف عما يلزم من
وجوه الاصلاح . وما أدري كيف ينفعنا الاستقلال الحقيقي ونحن على ما نحن
عليه انصرافاً عن الأعمال الجدية واشتغالاً بالمسائل التي تكاد تكون هزلية .
وما أدري كيف يضيرنا الاستقلال المزيف لو أجمعنا جميعاً على اعتباره خطوة
لا بأس بها لما فيه من المزايا التي لا يستهان بها وانصرفنا جميعاً إلى اصلاح
شئوننا وهي كلها تحتاج إلى الاصلاح . قلت لوفعلنا ذلك لأصبح الانكايير
مثلهم كمثل جحا إذا اجتمع تحت نافذة بيته نفر من الأولاد يسبحون

ويطلبون منه أن يعطيهم شيئاً مما عنده . فأطل عليهم من النافذة وقال لهم :
أيها الأولاد ليس عندي ما يمكنني أن أعطيكم لكم لكنكم لو ذهبتُم الى جاري
فلان وأشار الى أحد جيرانه لوجدتُم أنه ذبح اليوم شاة وقد يعطيكم منها نصيباً .
جفري الأولاد نحوه . ولما رأهم جحاً يركضون نحو جاره أخذ يعتقد في صحة
ما ادعاه على جاره ، وخرج من بيته ليدرك الأولاد ويدرك له نصيباً . فلو فعلنا
ذلك وانصرفنا الى الإصلاح لوجدنا الانكليز آخر الأمر انهم منحونا الاستقلال
فقال : ولم لم تفعلوا ذلك ؟

فقلت : ولم لم نفعل ذلك ؟

فقال : أنا أسألك ؟

فقلت : وأنا أسألك

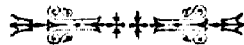
فقال : لست أدري

فقلت : وأنا لست أدري

واقترب القطار من الاسكلة ، فقام ليهم بنقل متاعه واعتذر لي عن

تطفله عليّ بالكلام

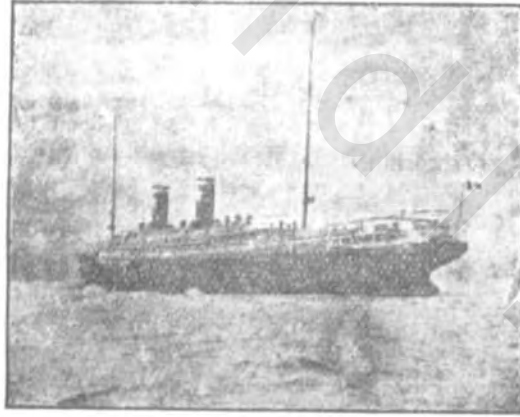
فقلت : معاذ الله لقد طاب لي حديثكم وكنت به مسروراً . مع السلامة



(١٠)

فى الباخرة اسىرىا

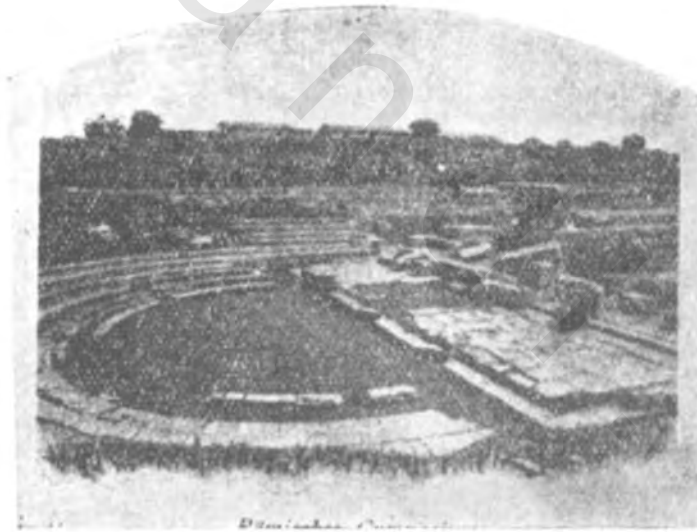
لقد كان سفرى فى المىعاد الذى أخذ السىاح يفادرون فىه مصر الى بلادهم أو الى بلاد أخرى فى طرىقهم الى بلادهم . ولذلك كانت الباخرة ملء حشدها منهم ، ولم يكن فىها من المصرىين إلا ثلاثة أنا ثالثهم ، فرأى أن الفرصة سانحة لدرس ما يمكن درسه من اخلاق هؤلاء السىاح وعاداتهم وطباعهم وآدابهم والمقابلة بين أجناسهم المختلفة أولاً وبيننا ثانياً . ولعل أول ما بدا لى تخير من كان معنا من السيدات فى السفينة فى اتخاذ أنخر الملابس ولا سيما ذلك فى المساء ، فكنت ترى بعضهن يتتاىهن بجمالهن ، والبعض



(٥) الباخرة اسىرىا

الآخر بكمالهن ، لكنهن جميعاً كن يتباهىن بملاسىهن وأزيائهن . فقلت ما أشبهن بسيداتنا أو ما أشبه سيداتنا بهن ، فهن كاهن ، لسوء حظ الرجال ، أو لحسن حظهم سواء . واستطردت قائلاً لنفسى . لقد فكر البعض فى توحيد

اللغات وفكر البعض الآخر في توحيد الاديان وكان جديراً بالبعض أن يفكر في توحيد هذه الازياء تخفيفاً لاعباء من يرى من الرجال في ذلك تخفيفاً للاعباء ومما لاحظته أن الانكليز هم وحدهم الذين لا يفوتهم أن يشكروا المثفر وهو الغلام السريع الخفيف في الخدمة (الجارسون) على كل شيء فاذا قدم لهم شيئاً أو ناولهم شيئاً وهم على المائدة قالوا له الكلمة الانكليزية المعروفة « كثر الله خيرك » واذا نقلهم الى أعلى أو أنزلهم الى أسفل بالمصعد شكروه . وهي عادة تدل على الأدب الجهم وما أظن أنى لاحظتها مع غيرهم ممن صادفتهم . ولى ملاحظة على الحلوان وهو ما يعرف بالبخشيش أو البقشيش لا بأس من ذكرها . فقد نزل كل المسافرين ممن كانوا يجلسون معى في أثناء الطعام على



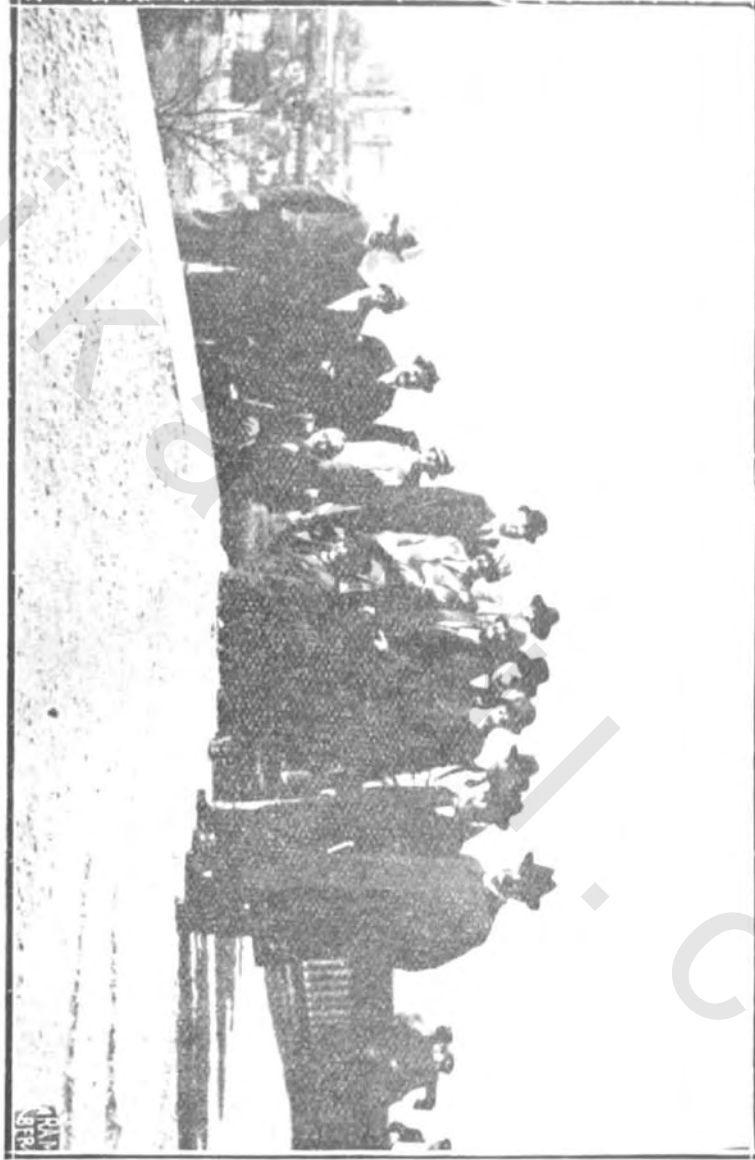
(٦) اثار الملهى المدرج الذى بسراقوزة

مائدة واحدة في نابولى وكانوا من أجناس مختلفة ، وكان عليهم أن يدفعوا الحلوان بعد دفع ما عليهم من حساب المشروبات الاضافية التى تناولوها في أثناء سفرهم فى الباخرة فلاحظت أن ما دفعوه حلواناً قليل جداً بالنسبة لما اعتاد

أن يدفعه المسرفون من المصريين . ويكاد يكون كل المسافرين من المصريين مسرفين . وكاد يكون إسراف المسرفين من المصريين بهذا الشكل أمراً خاصاً بهم لا يعنيننا نحن المعتدلين أن نتكلم في شأنه لولا أن إسرافهم كثيراً ما يورطنا فيضطرننا الى مجاراتهم في إسرافهم مكرهين ، ذلك أن القوم في الباخرة أو في البلاد الأجنبية كثيراً ما تدلهم فراستهم على المصريين فيتملقونهم بوسائل شتى استثماراً لخلّة الاسراف في المسرفين منهم وتوريطاً للمعتدل بل ولملول اليد فيبسطها كل البسط آسفاً مقهوراً . واليك بعض ماجرى لى بيانا تقولى واينساحاً لما اريد أن اذكره لك :

خرجنا ذات يوم ونحن فى روما لزيارة بعض الاماكن التى يزورها السياح كالمغاور التى فيها الموتى وغيرها . وكان كوك يرسل الينا السيارات الفخمة فنزورها جماعات . فأخذ كل واحد منا له مكاناً وحدث انى بقيت وحدى فى احدى السيارات . فلاحظت أن سائقي السيارات كلما وصلنا الى مكان يفتحون أبواب سياراتهم وهم جلوس فى مقاعدهم لنزول الركاب منها . واذا عادوا لركوبها فقد يفتحون لهم الأبواب وهم جلوس أيضاً . أما سائق السيارة التى كنت فيها فكان اذا وصلنا الى مكان ينزل من مقعده ، ويفتح الباب ، ويرفع قبعته ، ويمحن رأسه ، وأنا نازل من السيارة . وكذلك كان يفعل اذا عدت اليها للركوب . وكان يفعل ذلك فى احترام وأدب حتى لقد أخجل تواضعى . ولا عجب أن استعرت هذا التعبير الذى جرى على لسان حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد باشا زغلول فقد أخذنى الغرور وكاد يخيل الى أنى أمسيت فى آخر الزمن وزيراً من الوزراء أو على الأقل وكيلاً من الوكلاء . ولقد دفعنى احترام هذا السائق لى وان شئت فقل تملقه الى تجاوز حد الاسراف فيما أعطيته له بقشيشاً وأنا مكره لا بطل

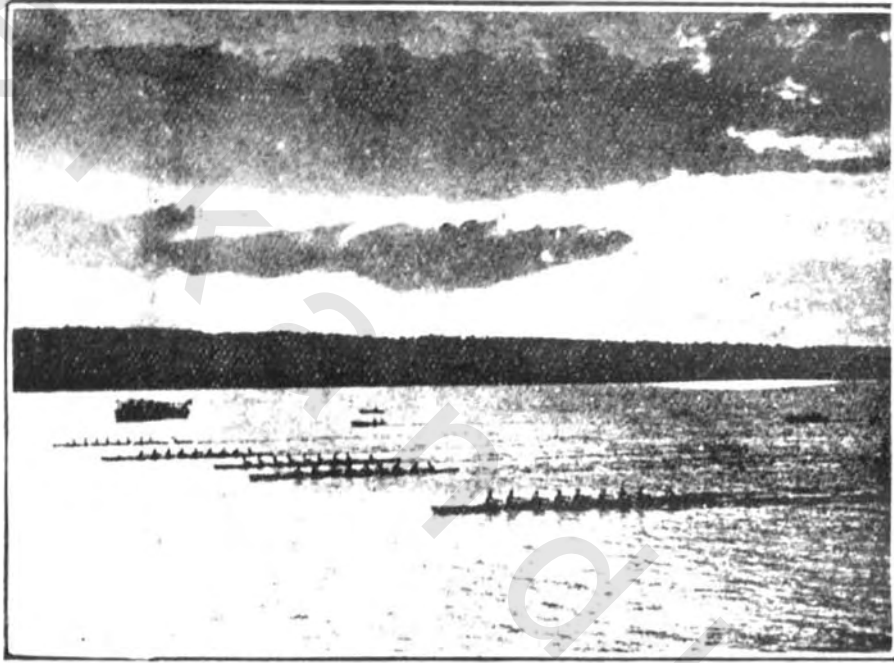
وأغرب من ذلك ما حدث لى فى الفندق الذى نزلت فيه فى مونترىيه
(بسويسرة) . والفندق اكبر من أن ينزل فيه مثلى . فقد لاحظت أن البواب
(Concierge) كلما خاطبني باحترام ذاكرًا كلمة (Excellence) أى



(٧) جماعة من أعضاء المؤتمر وقد خرجوا لزيارة بعض الآثار

سعادتك مرارًا مع أنى لاحظته وهو يكلم غيرى ممن أعتقد أنهم أعظم شأنًا
وأعز مالا فلم أره يذكر هذه الكلمة فى مخاطبتهم على نحو ما كان يفعل معى

حتى لقد هممت أن أسأله ومن أدراك أننى بك !؟ على حد تلك الفكاهة المشهورة التى تروى عن شاب غنى كان مولعاً برتبة البكوية ساعياً إليها جهده فركب ذات يوم عربة فصار الحوذى كلما خاطبه خاطبه ييا بك فتوهم الشاب احتمال الانعام عليه بالرتبة بغير أن يعلم فسأل السائق بقوله . من أخبرك بأنى بك !؟

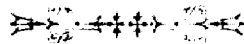


(٨) قوارب مشوق قوامها

ومن ذلك يتضح أن فعالنا تفوق فعال المكثرين من الأمريكيين والانكليز وغيرهم فى حين أن مالنا يقل عن مالهم ومما شاهدناه وقد تحركت الباخرة للقيام من نابولى قارب صغير مشوق القوام فيه ثمانية مقاعد كل مقعد يسع اثنين ، جلس على كل مقعد شاب ، جلس الأول ذات اليمين ، وجلس الثانى ذات اليسار ، والثالث ذات اليمين ، والرابع ذات اليسار ، وهكذا ، وكانوا كلهم بملابس السباحة ، وفى يد كل

واحد منهم مجذاف ووقف أمامهم تاسع كالوازع يدبر أمرهم ويظهر أنهم كلهم كانوا في القارب لتوديع بعض من ابجروا من نابولي الى جنوى . ولما تحركت الباخرة أشار اليهم الوازع أن سيروا فرأينا نحن الركاب منظرًا جميلًا إذ سار القارب تدفعه المجاذيف ، في اتجاه سير الباخرة ، وصرنا نرى نظاما في الحركات غريبًا . فكلما مالت رءوسهم إلى الأمام دفعت المجاذيف إلى الوراء وكلما مالت رءوسهم إلى الوراء دفعت المجاذيف إلى الأمام . وسار القارب والباخرة الى أن زادت سرعتها فلم يستطع القارب اللحاق بها فأخذ الذين في القارب يتبادلون الهمتاف مع اصحابهم الذين في الباخرة مودعين ومودعين ، وكان سائر ركاب الباخرة عليهم متفرجين

تعب كلها الحياة منذ أيام المعرى الى الآن ، وما أظن إلا أن تعبها في ازدياد . واعل هؤلاء القوم بمثل هذه الرياضة البدنية البحرية الهوائية الشمسية يدفعون تعب هذه الحياة ويتغلبون على مصاعبها . فأنعم بها من رياضة وكرم وما سارت الباخرة غير بعيد من نابولي حتى أخذت السماء تتلبد بالسحاب ثم أخذت قطش طشيشًا غير قليل فشعلت السفينة وصارت تترنح متمائلة ذات اليمين وذات اليسار . وما كان ذلك ليمنعها من توصيلنا الى جنوى في الميعاد المقرر فوصلنا اليها بحمد الله سالمين



فضل الحيوان على الانسان

لقد ترددت كثيراً في اختيار عنوان هذا الموضوع أأجعله فضل الانسان على الانسان أم أجعله فضل الحيوان على الانسان . ولقد اكتفيت بالعنوان الأخير لأن الانسان لا يمكن أن ينال نصيبه من فضل الحيوان الا اذا استوفى حقه من فضل الانسان واليك البيان :

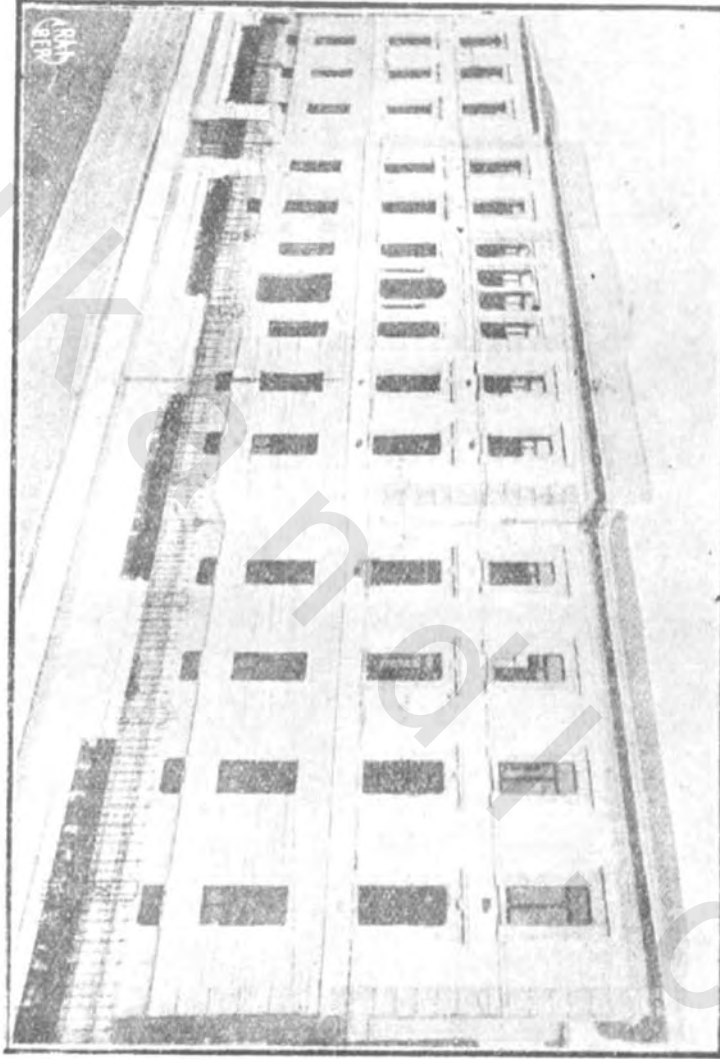
لقد غادرت جنوى يوم وصلت اليها لأنه كان من الضروري ان يجتمع المشتركون في التنزه من المؤتمرين في ميلانو يوم ٣٠ مارس الماضي . وكان الترتيب أن انزل في فندق نورد . ولقد قابلت فيه مندوب السويد المؤتمر وهو الدكتور قيصر . وكنت قد تعرفت به وبمقيلته في المؤتمر الماضي بلندن سنة ١٩٢٣ فبادلنا التحية وجلسنا نتجاذب اطراف الحديث في شئون شتى الى أن حان موعد الغداء فتغدينا واتفقنا على زيارة مستشفى ميلانو الكبير بعد الغداء وعرفنا أن في هذا المستشفى جناحاً كبيراً للجراحة أقامه رجيل ايطالى من ماله الخاص يدعى زوندا Zonda وسمى الجناح باسمه . ومعاذ الله أن أقصد بصيغة التصغير الى تحقيره وتقليل شأنه . ولكنى قصدت بهذه الصيغة تعظيمه وتفخيم قدره لأن التصغير قد يستعمل لهذا الغرض كقول بعضهم يا عدى نفسه وعبيد فلسه يريد تعظيم عدواته وعبوديته . ويمكنك أن تعد احسان هذا العظيم من نوع فضل الانسان على الانسان مما أصبح في البلاد الناهضة فرض عين على من استطاع اليه سبيلا يلزمه اقامته ولا يسقط عن البعض باقامة البعض . والبلاد التي يكثر فيها أمثال هذا المحسن لا بد أن

تسمو الى المكان الذى تطمح اليه ولو كانت غير مستقلة . ولقد أرانا أحد أطباء المستشفى جميع أقسامه فرأينا النظام والنظافة والعناية والكمال . وكان الدور الأول خاصاً بالمعامل والمباحث والتجارب المختلفة والأشعة المجهولة ، والدور الثانى للأحوال الجراحية النظيفة ، أما الدور الثالث فكان للعوارض والدور الرابع للأحوال الجراحية العفنة

ولا يزيد عدد الأسرة فى جناح زوندا عن عدد الأسرة فى مستشفى الملك الذى بالقاهرة ولا يزيد عدد أطبائه عن أطباء مستشفانا لكن العبرة كل العبرة فى محتويات الدور الأول . ولعلها كانت فى الدور الأول رمزاً على أنها هى الأساس الذى يجب أن يبنى عليه . ففيه قسم الأشعة المجهولة بالأجهزة القوية التى تصلح للتشخيص والعلاج لأنها ذات ٢٥٠٠٠٠ فوات . ولقوة هذا الجهاز لا يبقى فى الغرفة التى هو فيها إلا المريض . أما الطبيب فيدير هذا الجهاز ويلاحظ المريض من نافذة فى الخارج فى غرفة مجاورة . وفى هذا الدور أيضاً قسم للمباحث والتجارب البكتريولوجية وقسم للمباحث والتجارب الكيميائية وقسم للمباحث والتجارب الفسيولوجية ، وقسم للمباحث والتجارب الجراحية رأينا فيه منضدة للعمليات التى تعمل على أنواع الحيوان المختلفة كالكلب والأرنب الهندى وكذلك الآلات والأدوات الخاصة بهذه العمليات . وفى هذا القسم شهدنا فضل الحيوان على الانسان . وما أعظم هذا الفضل فلولا الكلب والضفدع لما وقف هارفى على نظام الدورة الدموية منذ نحو ٣٠٠ سنة . ولولا الكلب لما اهتمدى الباحثون الى قياس الضغط الدموى ، ولولا الكلب لما عرفنا طريقة التنفس الصناعى لاهياء الموتى موتاً ظاهرياً من الفرق والصدمة الكهربائية ، والكلوروفورم . ولولا الكلب وغيره من الحيوان لما اخترعت

العمليات الحديثة التي تعالج بها العوارض والأمراض المختلفة . ولولا الكلب لما استطاع كوشنج التمدادى فى عمليات المنخ والغدة النخامية التى أوصلته إلى نتائج باهرة لتخفيف آلام الانسانية وعذابها . ولولا الكلب وغيره من الحيوان لما تمكنا من معرفة ما يمكن أن نستغنى عنه من الأعضاء أو أجزائها فى أحوال المرض . فقد عرفنا مثلاً أنه من الممكن الاستغناء عن إحدى الكليتين إذا كانت الأخرى سليمة ، وأنه من الممكن الاستغناء عن جزء عظيم من الأمعاء ، وعن الطحال وغيره . ولولا الحيوان لما عرفنا كيف نوصل المعدة بالأمعاء وكيف نوصل بعض المعى ببعضه . ولولا الحيوان لما تمكن الجراحون من جراحة الرئتين والقلب . ولولا الحيوان لما اهتدى الباحثون إلى طريقة الهضم وتأثير أعضاء الهضم . ولولا التجارب الغذائية على الجراء وهى صفار الكلب لما عرفنا سبب الكساحية . ولولا الكلب لما اهتدينا إلى الانسولين وفوائده ، ولولا الحيوان لما استطعنا أن نعرف تأثير الأدوية والعقاقير المختلفة ومقادير جرعتها . ولولا الكلب لما استطعنا أن نعالج داء الكلب علاجاً وقائياً . ولولا خوفى من ملل القارىء لتمدديت فى سرد ما يوجد به الكلب وغيره من أنواع الحيوان على الانسان من المعلومات الغزيرة التى عادت على الانسانية بالخير العظيم . ولعلك أيها القارىء ، تفهم من هذا البيان الموجز ضرورة المباحث العامة والتجارب الطبية للمستشفيات . أليست هى سر التقدم ؟ وإن تعجب من ذلك فمعجب أن أخبرك أن القوم فى انكلترا يعينون أطباء بمرتبات فى المستشفيات للانصراف إلى البحث بكل قواهم ولما وصلنا إلى غرفة العمليات ورأى الطبيب على وجوهنا علامات الإعجاب بها والانشرح منها قال وقد بدا عليه شيء من الفخر والارتياح : « لقد أوفد

مجلس الادارة الاستاذ بولدو روسى (وهو المدير) إلى بعض البلاد الأجنبية لبناء هذه الغرفة على خير مثال » واقسم لك بالله أيها القارئ لقد كان لكلمته هذه التي مرت على رفقائى بغير أن يكثر ثوابها وقع شديد وكادت النفس تذهب



(٩) مستشفى ميلانو — جناح زوندا

حسرات . وحسبى أن أقول لك بياناً للسبب أسنا ممن يتلف الطبخة توفيراً
لثمن البصل أو الفلفل
وقال لنا الطبيب ونحن خارجون إن للمستشفى مدرسة طبية ولا أذكر

تماماً ما قاله لنا عنها أخرج منها كل سنة مائة طالب أم فيها في هذه السنة مائة طالب ؟

ولقد ذهبنا في المساء إلى « تياترو الاسكالا » وكنت قد سمعت عنه يوم كنت بميلانو قبل هذه الدفعة « إن من يحضر الى ميلانو ولا يشهد



(١٠) ملهى الاسكالا بميلانو

الاسكالا فكانه لم يحضر إلى ميلانو » واني وان وجدته جديراً بما سمعته عنه نخامة واتساعاً ونظاماً وترتيباً وتمثيلاً إلا أنني حضرته وكأني لم أحضره لأنني لم أفهم شيئاً من الرواية . ولكني لم أرجع بخفي حنين فقد رأيت فيه سيدة قصت شعرها وسرحته كما يقص الرجل شعره ويسرحه فكانت مرمي الأنظار تصوب اليها النظرات من كل ناحية . ولست أدري أقرب أم بعيد سريان عدوى هذه العادة الذميمة إلى سائر السيدات . فالعادات الذميمة كالأمراض المعدية سريعة العدوى . وقانا الله شرها

(١٢)

ما هنالك

غادرنا ميلانو مساء ٣١ مارس سنة ١٩٢٦ بعد ما زرنا أهم محاسنها . ومن أهم محاسنها في رأيي المقبرة البديعة التي لا يصح أن يحسب الانسان الذين دفنوا فيها أمواتاً لأنهم أحياء بما على قبورهم من التماثيل التي تشرح لك أحوالهم وتبين لك عظمتهم . والمقبرة مساحتها خمسون فداناً فيها الأشجار الباسقة والأزهار المختلفة وكلها منسقة تنسيقاً جميلاً . فهينئاً لمن دفنوا فيها بجنتهم الدنيوية فهي خير هدية من الأحياء الى الأموات . وكانت وجهتنا البندقية فوصلنا اليها متأخرين . وكان كل فريق منا نحن المؤتمرين يعرف الفندق الذي يقيم فيه . فنزلت في « جران أوتل » مع بعض الرفقاء ووجدنا بعد العشاء اعلاناً عن العمليات التي ستعمل في الصباح في المستشفى المدني يقوم بعمالها الأستاذ جوردانو وهو الذي كان رئيساً للمؤتمر السابع في روما . والمستشفى يبعد عن الفندق الذي كنا فيه نحو نصف ساعة ويصل الانسان اليه كما يصل إلى أى موضع آخر بركوب قوارب صغيرة يسميها البندقيون جوندولا (Gondola) . واللون الأسود اجباري يحتمه قانون منذ القرن الخامس عشر . وهذه القوارب تقوم مقام العربات ، والسيارات ، لأن البلد يتألف من نحو ١٥٠٠٠ بيت وقصر كلها مشيدة على نحو ١١٧ جزيرة صغيرة في البحر يكتنفها نحو ١٥٠ قناة . وتتصل هذه الجزائر بنحو ٣٧٨ جسراً . وذلك كله مما يجعل منظر البندقية غريباً وحيداً

فقمنا في الصباح مبكرين وقصدنا إلى المستشفى وشاهدنا العمليات

التي أعلن عنها . وليس يهتمك أيها القارئ أن تقف على الفوائد الطبية التي جنيناها فهي لا تهم إلا الأطباء بل الجراحين . وقد يسرك أن تعلم أن هذا الأستاذ عمل أربع عمليات كبيرة في مريض واحد وفي أقل من ساعة . هذه العمليات هي وصل المعى بالمعدة ، واستئصال المرارة ، واستئصال الزائدة الدودية ، وتثبيت الكلية اليمنى . نعم عمل الأستاذ هذه العمليات كلها في مريض واحد في مدة أربعين دقيقة ونال إعجاب المتفرجين مما جعلهم كلهم يتكلمون وهم معجبون بسرعه الزائدة . ومن الغريب أن الانسان لا يخلو من قاذح ومادح ولو حاول العزلة على رأس جبل . ومن الغريب أيضاً أن الأستاذ لم يشذ عن هذه القاعدة لأنني قد سمعت بعضهم يقول « يا ويل مريضه وويحه ، انه كان يعرض علينا سرعه ، انها سرعه قد تعود على المريض بالخطر ، ولو كنت مريضاً مرضاً جراحياً لما سامت نفسي اليه »

ولقد دعينا بعد انتهاء العمليات الى وليمة أقامتها إدارة المستشفى فتناولنا فيها ما لذ وطاب شاكرين لهم حسن ضيافتهم ثم اطلعنا على أقسام المستشفى فاذا بقسم الأشعة المجهولة أكبر من كثير من مستشفيات الحكومة في عواصم المديريات . وينقسم إلى قسمين : أحدهما للمرضى بالقسم الداخلي ، وثانيهما لمرضى القسم الخارجى . فاذا رأيته ثم رأيت الأشعة المجهولة للتشخيص والعلاج وغرفة مظامة للتصوير وأجهزة مختلفة للعلاج بالكهربائية وبالدياترمى (Diathermy) وأجهزة للتشخيص بالمناظير الكهربائية المختلفة كالمنظار المثاني الكهربائى والمنظار الشعبى الكهربائى وغيرهما مما يطول بنا المقام لو أردنا التفصيل « ولم يفهم أن يجعلوا في هذا القسم بضع غرف للاحصائيات والمراجعات مما يخلو منه أكثر مستشفياتنا

لا بالنسبة لقسم الأشعة فانه لا يوجد في جميع المستشفيات المصرية بهذا الشكل ولكن بالنسبة لجميع أعمال المستشفى ولفن الاحصائيات ولا سيما في الطب شأن كبير يظهر أننا لا نزال نجهله

ثم ذهبنا الى مطبخ المستشفى أو قسم الطبخ وكان من حسن حظ مرضى المستشفى اننا ذهبنا إليه بعد الوليمة فرأينا عجباً لأن قسم المطبخ أيضاً يكاد يكون اكبر من بعض مستشفياتنا . فيه مكتب لإدارة المطبخ لست أبالغ لو قلت لك أنه أحسن من مكتب المدير في بعض المستشفيات . وفيه غرفتان مملوءتان بالأواني النحاسية المختلفة مما يملك تخيل انك في حانوت نحاس لا في مطبخ مستشفى . وفيه غرفة للتبريد

وفيه مصعد خاص بالمطبخ يخجلني أن أقول إنه ليس عندنا مثله في مستشفى قصر العيني

وفي المستشفى ما فيه مما يمكن أن أضفه باختصار انه ملء النفس والعين وقبل الانصراف من المستشفى أخبرنا أن جناب محافظ المدينة قد تبرع لنا برفاص بخارى لنقلنا الى ايدو لزيارة المستشفى البحرى بعد الغداء مما سأحدثك عنه في المقال الآتى ان شاء الله

وكذلك أخبرنا أن جراح التشوهات بالمستشفى المدنى سيقوم بعمل بعض عمليات في مساء اليوم نفسه بعد رجوعنا من المستشفى البحرى وقد حضرنا لمشاهدة العمليات فرأيناه وهو يكون مفصلاً صناعياً للركبة لوجود يلس (انكيلوز) فيها فكونه بدقة ومهارة . ثم قوم اعوجاج قدم مشوهة بنحت العظم وتقل بعض أوتار العضلات مما لا يفهمه الجمهور وقد عرض علينا أيضاً سيدتين كوّن لكل منهما مفصلاً صناعياً في

احدى الركبتين ليس فى المفصل ناشئ عن السيلان

وقد عرض علينا بعد ذلك بعضهم محقنة إيطالية الصنع والاختراع لنقل
الدم من الإنسان إلى الإنسان ربما تمكنت من وصفها فى المجلة الطبية المصرية
وخرجت أقول لرفقائى وأنا أحاورهم أيجوز فى عرف الأدب الطبى أن
يعرض علينا الجراح سيدتين بمرض هو فى الحقيقة مضاعفة لمرض سرى
وهو السيلان ؟ فقال بعضهم بالجواز لأننا جميعاً أطباء وغرضنا المنفعة العامة

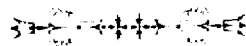
وقال البعض الآخر بالجواز لأننا غرباء واسننا من بلد السيدتين

وقال آخر : لا بد أن الجراح استأذنتهما قبل عرضهما . فسألت زميلاً
انكليزياً : لو كنت أنت الجراح وكانت السيدتان من بلدك أكنت تعرضهما
علينا بغير ستر وجههما ؟

فقال . لا

فقلت : وهذا رأى ؛ فقد حدث أنى زرت أحد المستشفيات بلندن
وحدث أن الطبيب أراد أن يعرض على سيدة مصابة بمرض سرى فلم يعرضها
إلا وهى محجوبة الوجه

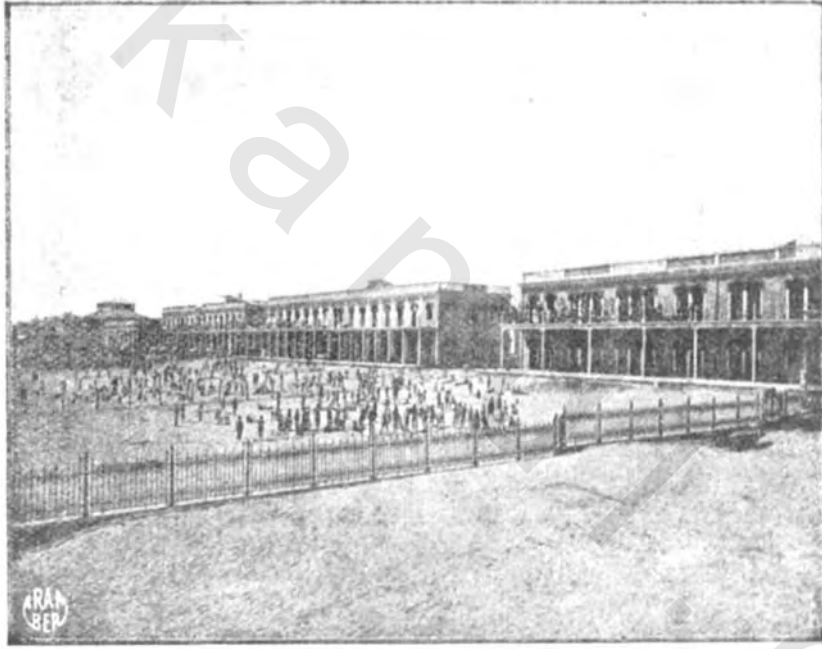
على أنى التمس للجراح عذراً ولا ألومه فقد كانت غايته حميدة وقد قيل
« الغاية تبرر الوسطة »



(١٣)

المخرج بالعمل

نقلنا الرفاص البخارى إلى ليدو بعد الغداء لزيارة المستشفى البحرى .
وليدو وما أدراك ما ليدو ؛ هو مصيف جميل بهواء بحرى عليل يزوره
البندقيون ولا سيما فى زمن الصيف لأجل الحمامات البحرية . وهو يبعد عن
البندقية نحو نصف ساعة بالرفاص أو نحو ساعة بالقارب الصغير . ولقد قصدنا



(١١) منظر للمستشفى البحرى

إلى المستشفى بعد نزولنا من الرفاص فوجدناه جنة على شاطئ البحر يلبس
المرضى فيها ثياب الصحة والعافية . ولقد وفق القوم فى أمر هذا المستشفى
من وجوه كثيرة . فوفقوا فى اختيار موضعه على البحر ، ووفقوا فى بنائه إذا
جاء على أحسن شكل . ووفقوا فى نظامه وترتيبه ، ووفقوا فى نوع المرض

الذى يعالج فيه إذ جعلوه لعلاج التدرن الجراحى بجميع أشكاله . وهذا المرض يشاهد فى الصغار والكبار لكنه أكثر حدوثاً فى الأولاد . ويطول زمن علاجه كثيراً فقد يقضى المريض فى المستشفى بضعة أشهر وقد يلبث سنة أو أكثر . وفيما نحن سائرون نطلع على أقسام المستشفى المختلفة رأينا فيما رأينا مكاناً للصور المتحركة فالفطنا إليها الطبيب وقال لنا عنها إنها لإلهاء المرضى ولا سيما الأولاد فسألت : ألم تفكروا فى عمل مدرسة شمسية وإلهاء المرضى بالعمل على نحو ما يعمل الأستاذ روليه بسويسرة ؟



(١٢) منظر آخر للمستشفى البحرى

فقال : لم تفكر فى ذلك لأننا قصدنا بالصور المتحركة إلى الإلهاء والتسلية ولم نقصد إلى العمل
فقلت : ألا تعتبر العمل ضرباً من الإلهاء ؟ واشتدت المناقشة ، ودخل معنا فيها كثيرون . ومن حسن الاتفاق انى عاجلت هذا الموضوع قبيل سفرى

وقرأت عنه كثيراً وكتبت فيه مقالا نشرته في مجلة صحة العائلة فذكرت لهم كثيراً من الآراء فصادفت منهم قبولاً . ومما ذكرته لهم أن طول مدة العلاج قد يؤثر في نفسية المريض ويجعله يتأذى لاسيما إذا كان بغير دخل وممن يعيشون بكدهم وجدهم . هذا اذا كان كبيراً . أما إذا كان صغيراً فقد يضيع عليه وقت الدراسة . ولقد جرت عادة الأطباء في المصحات عند أول نشأتها أن ينسجروا المسلوين بالاخلاد إلى الراحة التامة . وسرعان ما وجدوا وبأل هذه الذبيحة لأنها أفضت الى انحطاط المرضى انحطاطاً بدنياً ونفسياً . وكيف لا تفضي الى ذلك وقد كان المريض يتقل نجاة من حياة النشاط والعمل وهو بين أقاربه وذويه الى حياة السكون والكسل في عزلة يكاد يردد فيها قول الطغرائي

ناء عن الأهل صغر الكف منفرد كالسيف عرى مثناه عن الخلل
فلا صديق إليه مشتكى حزني ولا أنيس إليه منتهى جدلي

وكيف لا يفضي إلى ذلك ولا يشغل باله إلا مرضه ومستقبله . ولم ير الأطباء قديماً وسيلة لاهاء المرضى عن مرضهم إلا المطالعة وقد يملونها . ومن ذلك يتضح أن المسلول كثيراً ما يصاب في المصحة بمرض نفسي هو الفراغ من العمل ذلك الفراغ الذي يميز المصحات . وما أشد وطأة هذا الفراغ وتأثيره في القوى المعنوية للمريض الذي لم يألف إلا الحياة العملية . فقد لا يقل تأثير حكم المصحة بالراحة التامة عن حكم المحكمة بالأشغال الشاقة . فالمرضى الذي تناسبه رياضة بدنية ، ويعمل هذه الرياضة بنظام وترتيب من غير أن تضره أو تشق عليه — أقول إن هذا المريض يشعر بارتياح عظيم لا يسترداد قواه ورجوع الماء الى مجراه . ولا شك أن هذا الشعور يؤثر تأثيراً حسناً لا ارتباط النفس بالجسم ارتباطاً وثيقاً . ولقد فكر القوم في علاج هذه الأحوال

يوصف جرعة طيبة من العمل بمقادير مختلفة . ولقد نجحت التجارب التي أجراها روليه وغيره بسويسرة وصاروا يعتقدون أن العمل من وسائل العلاج كالدواء . وهو لذلك يجب أن يوصف عند الضرورة كما يوصف الدواء بوصفه الطبيب حسب مقتضيات المرض ، ويلاحظ تأثيره ، وينوعه ، ويعين مقدار جرعته في اليوم . وكما أن للأدوية دلالات تقتضى استعمالها وأخرى تمنع الاستعمال فكذلك للعمل . فللعلاج مزية نفسية ومزية اجتماعية واقتصادية . فاما المزية النفسية فهي تعجيل الشفاء بالتأثير النفساني لصرف المريض عن الانشغال بمرضه إلى الاشتغال بعمله . أما المزية الاجتماعية الاقتصادية فهي الحصول على بعض الكسب مما يساعد على تطويل زمن الشفاء كما تقتضى ضرورة المرض لأن ذلك التطويل أضمن وسيلة لعدم الانتكاس

وكنتم أحبذ علاج المرضى بالعمل في أحوال الأمراض المزمنة التي يطول علاجها بضعة أشهر أو أكثر . وما كنتم لأقصد إلى علاج جميع المرضى بالعمل سواء منهم من طالت مدة علاجه ومن قصرت إلا أن بعضهم رأى أن يكون هذا العلاج عاماً لمن استطاعه من المرضى بغير ما نظر إلى مدة مرضه

وقال آخر : إن هذا العلاج شائع في الملاجىء المختلفة ورجا أن يقوم في المستقبل القريب طبيب اجتماعي ينظم هذا العلاج ويدعو إليه ولقد زرنا قبل مغادرتنا البندقية كثيراً من محاسنها الأثرية والصناعية . فاما المحاسن الأثرية فلا شأن لي بها ، وأما المحاسن الصناعية فأهمها المحافظ الجلدية المزركشة المختلفة ومعامل الدنتلا البديعة ومعامل الفسيفساء الزجاجية ومما يصح أن أذكره أن الفسيفساء على ثلاثة أنواع الزجاجية وهي التي تمتاز بها

البندقية ورخامية وهي التي تمتاز بها فلورنسة، وكيميائية وهي التي تمتاز بها روما. والفسيفساء قطع صغيرة ملونة من الزجاج أو الرخام أو غيرهما توضع على أشكال مختلفة . وقد اطلعنا على طريقة الفسيفساء الزجاجية التي يعملون منها فناجين القهوة والشاي والكافو والزهرات وأغطية المصابيح الكهربائية وغير ذلك فإذا هي صناعة دقيقة قلما يغادر الزائر البندقية بغير أن يراها لأن القوم يحتالون على الاعلان عنها بطرق مختلفة يصح أن أذكر منها طريقة عسى أن يقتدى بهم من ذوى الصناعات المصرية من يعملون في سكون وهدوء وثبات بغير اعلان ؛ فلم تعرف الأغلبية المصرية عنهم شيئاً حتى اتضحت كفايتهم وقدرتهم في المعرض الصناعى الزراعى الأخير . وتتلخص الطريقة في عرض نماذج صغيرة من أعمالهم بصفة دائمة يعرضونها في دواليب جميلة يراها الانسان على سلام الفنادق وفي صالات الجلوس التي فيها وفي المحطات وفي المحال العمومية وهي في كل هذه المحال موضوعة بشكل يلفت إليها الأنظار . فلو اتبعت هذه الطريقة عندنا لما خفى علينا نحن المصريين المقيمين في مصر ذلك النشاط الصناعى الذى أدهش كثيراً منا أخيراً والذي يجب علينا جميعاً أن نشجعه بما لدينا من وسائل ترويجاً له وتنشيطاً

بقى على أن أذكر ما حدث لنا في البندقية مما يصح أن يضرب مثلاً لطمع الناس في السياح الأجانب . فقد حدث أنى خرجت من الفندق مع رفيقين أحدهما دانمركى والآخر اسلندى وأخذنا قارباً صغيراً لتوصيلنا إلى موضع غير بعيد . واتفقنا على أن يدفع الزميل الاسلندى جميع ما يلزم من المصروفات على أن يدفع كل منا نصيبه له في آخر اليوم . وللقوارب تعريفة رسمية تقضى علينا أن ندفع لصاحب القارب ست ليرات ايطالية أجراً لتوصيله إيانا . فقدم له الزميل سبع ليرات فأبى أن يأخذ إلا عشر ليرات وأيننا أن



(١٣) المؤلف وعلى يمينه الرفيق الدانمركي وعلى يساره الرفيق الاسلندي
ندفع إلا الأجر المقرر . وبعد أخذ ورد رأينا أن ندفع عشر ليرات حسماً للنزاع
فقدم له الطبيب الاسلندي ورقة ذات عشر ليرات مسترداً النقود الأخرى
التي كانت معه . فأخذ الرجل الورقة وطرح النقود على الأرض ومضى لسبيله
يضحك مستهزئاً منقماً . فامتدت إليه أنظارنا جميعاً في ذهول ودهشة
كاظمين الغيظ عافين عنه بغير أن يطلب منا عفواً

(١٤)

متفرقات

قمنا من البندقية في الثالث من ابريل صباحاً قاصدين الى بادوفا فوصلنا اليها الساعة العاشرة من اليوم نفسه. وكان الغرض من نزولنا في هذا البلد زيارة المستشفى لرؤية العمليات التي يعملها الجراح الماهر دوناتي . والجراح الماهر أو الطبيب الخاذق إذا نشأ في بلد صغير فقد يرفع قدره ويجعل له شأنًا عظيمًا فتأني اليه الناس من كل فج ليشهدوا آثار الخدق ويروا آيات المهارة فكيف به لو كان في بلد كبير. ولما دخلنا المستشفى رأينا بعضهم وهو واقف بآلة شمسية يأخذ صورنا المتحركة ونحن سائرون الى غرفة العمليات . وكان فيها الاستاذ لابسا منزره ومتقنمًا بالقناع وعلى كفتي يديه قفاز من المطاط وآخر من القماش الابيض وهو مستعد لاعمال مشراطه في مريضه الذي كان نائما على المنضدة متى تم عدد الزائرين . ومن فوائد المؤتمر للمؤتمرين أن راحتهم لغيرهم تعب . فجزام الله على ما لا قوه من التعب في سبيل راحتنا خير الجزاء . وكانت العملية الأولى استئصال المرارة والثانية استئصال الطحال ، والثالثة استئصال المرارة أيضا ، والرابعة استئصال إحدى الكليتين ، والخامسة استئصال قطع من عظم بعض الفقرات لضغطها على النخاع الشوكي ولقد أجاد وأبدع فيها كلها ما عدا الأخيرة فقد كانت ماثرا للمناقشة وموضعا للقليل والقال بعد خروجنا من المستشفى كما كانت العمليات الأولى سببا لأعجابنا بكفائته وقدرته الفنية . ولم يكتفوا بما متعونا به من الآيات اليبينات الدالة على نبوغهم في الفن بل قد أطعمونا قبل خروجنا أنواعا مختلفة من المشروبات والحلوى مما دل على

كرمهم أيضاً ، وبعد ذلك ذهبنا للغداء وذهب كل فريق منا لفندق أو مطعم حسب الترتيب المعين ، وبعد الغداء ذهبنا للاطلاع على بعض آثار المدينة التي كان علينا أن نغادرها في الساعة الرابعة مساءً للسفر إلى بولونيا ، فوصلنا إليها قبيل ميعاد العشاء وتقلنا إلى الفنادق كل فئة إلى فندق ، ولقد أراد الفندق الذي نزلنا فيه أن يجهز لنا موضعاً خاصاً لتناول فيه العشاء جلوسنا في صالة الجلوس ريثما يتم الاستعداد ، وبعد قليل جاء المئزر (الجارسون) يدعونا للطعام فسمعت زميلاً أمريكياً من الولايات المتحدة يقول للمئزر ونحن سائرون إلى المائدة : لا تسقني النبيذ (Don't give me wine) وذكر كلمة النبيذ بالانكليزية واسقني النبيذ (But give me vini) وذكر كلمة النبيذ بالاطالية ولشد ما أعجبتني هذه المداعبة لأنني رأيت هذا الأمريكي ينحون نحو بعض مدعى الفقه عندنا ممن يحاولون تحليل بعض ما حرم الله ولا سيما في مسائل الطلاق بشيء من الحيل ، ولزيادة الايضاح أقول إن الولايات المتحدة قد أدركت ما في الخمر من ضرر فسنت قانوناً حديثاً تحرم به تناوله وأراد الزميل الأمريكي أن يتناول شيئاً منها على المائدة ، في أثناء الطعام ، ولكن بحيلة لا تجعله يخالف قانون بلاده فطلب النبيذ بالكلمة الايطالية وكأنه يدعى أن المحرم هو النبيذ بالانكليزية ولقد ذكرتني هذه المداعبة بما يحدث في إحدى الوزارات التي لها مجلس لا بد أن يوافق على مهام أمورها . ويضم هذا المجلس بين أعضائه نفرًا من صفوة كبار العلماء وخيارهم . وتحتاج هذه الوزارة كل سنة إلى مقدار عظيم من الكوؤل يستعمله القسم الطبى فيها لأغراض شتى كعمل الصبغات المختلفة وغيرها من الأدوية فإذا أرادت الوزارة أن تشتري الكوؤل المطلوب لم تستطع أن تقدم مذكرتها للمجلس بأنها في حاجة إلى الكوؤل خوفاً من عدم الموافقة فتقدمها

باحتياجها إلى مقدار كذا من السائل المطهر للقسم الطبي وبذلك تضمن الموافقة ويشتري الكؤول باسم السائل المطهر طهرنا الله من الذنوب والآثام ولقد رأينا بعد العشاء بياناً عن العمليات المختلفة في المستشفيات المختلفة. ولم يكن يغيظني في رحلتى إلا شيء واحد وهو أن تتعدد الأشياء التي يجب علينا أن نراها ويكون وقتها واحداً مما يجعل الإنسان يختار في الاختيار ويصبح كما تقول العامة عين في الجنة وعين في النار. فاتفقت أنا وبعض رفقاى أن



(١٤) المريض المصاب بدوالي في الفخذ والساق في الجهة اليسرى قبل العملية

نذهب أولاً في الصباح إلى مستشفى الأستاذ اسكيازي لثرى ما يعرضه علينا ثم نسرع إلى معهد جراحة التشوهات بجامعة بولونيا. فرأينا الأستاذ اسكيازي وهو يعمل عملية لمريض بقرحة في المعدة بطريقة مخصوصة لنظرية مخصوصة

هو صاحبها . وكذلك رأيناه يعالج الدوالى فى الساق بعملية مخصوصة من اختراعه ثم عرض علينا آلة غريبة لعمل الترنبة فى عظام الجمجمة بطريقة أستاذة كوديفيلا الذى مات قبل أن يتمكن من اعلان هذه الآلة فرأى الأستاذ



(١٥) المريض المصاب بدوالى فى الفخذ والساق فى الجهة اليسرى بعد العملية بثلاثة أسابيع

اسكيازى أن يقوم بنشر فوائد هذه الآلة قياماً ببعض ما عليه من الواجب نحو أستاذة وعسى أن أوفق لنشر كل ذلك فى المجلة الطبية المصرية أما معهد جراحة التشوهات بجامعة بولونيا فقد شغفت برؤيته منذ رأيت الأستاذ الذائع الصيت بوتى فى مؤتمر لندن فى سنة ١٩٢٣ . فقد ألقى محاضرة علينا وقتئذ فى جراحة تكوين المفاصل اليابسة المتشوهة وعرض علينا سلسلة كبيرة من الصور المتحركة التى وضحت لنا طريقة تكوين مفصل الركبة

من ساعة دخول المريض في المستشفى إلى وقت خروجه منه فارادنا كيف يفحص المريض بعد دخوله ومقدار ما عنده من التشوه في مفصل الركبة ومقدار ما فيها من اليبس ، وكيف يجهزه للعملية وكيف يعمل العملية مبنياً



(١٦) المريض المصاب بدوالي في الفخذ والساق في الجهة اليسرى بعد العملية بثمانية أسابيع

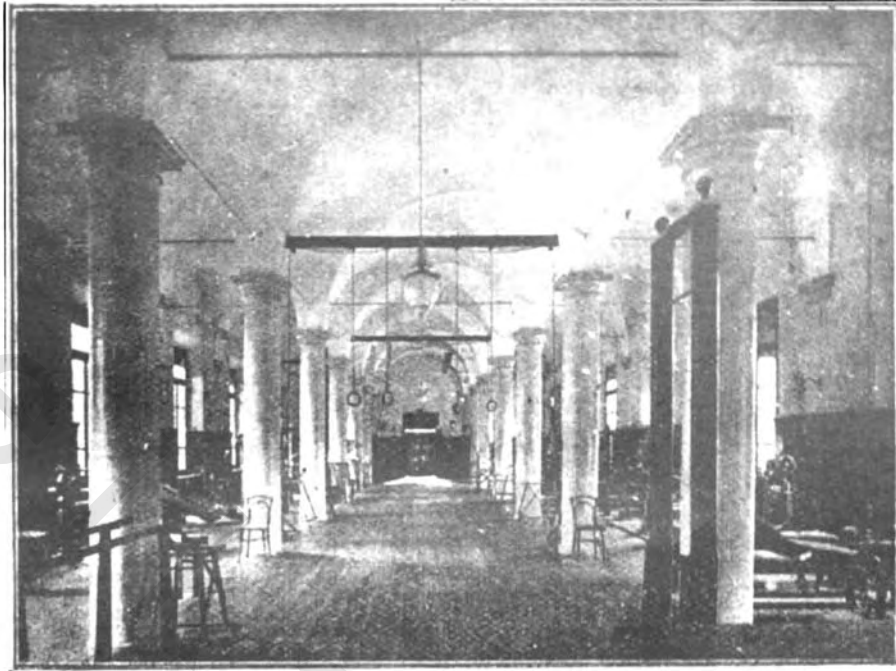
لنا صور الركبة بالأشعة قبل العملية وبعدها وموضحاً لنا الآلات الخاصة به التي يستعملها في العملية وطريقة تحريك المفصل بعد العملية بالأجهزة المختلفة لتدريب المريض على الحركات الاعتيادية وما يمكن أن يعملها المريض بعد الشفاء من الحركات كالمشي والوثب والجري والركوب والصعود والنزول كل ذلك أراه لنا الأستاذ بوتي بالصور المتحركة فبهر المؤتمر وأعجب به أعضاء المؤتمر



(١٧) معهد جراحة التشنجات بجامعة بولونيا وهو على جبل مرتفع



(١٨) منظر المعهد من الداخل



(١٩) صالة من صالات الرياضة لتحريك المفاصل

أيما إعجاب . وقام الرئيس يثنى عليه الشناء الجميل ويقدم له إعجابه وتهنئاته .
ولعل إعجاب أعضاء المؤتمر بهذا الأستاذ كان من عوامل عقد المؤتمر السابع
في روما



(٢٠) الأستاذ بوتي في عنبر من عنابر المرضى

وليس يهملك أيها القارئ أن تعرف ماذا رأيت في هذا المعهد — معهد جراحة التشوهات — وحسبي أن أقول لك انى سمعت منه ما لم أسمعته من قبل ورأيت ما لم أره ولم يكن يخطر بقلبي . ويحزننى أن أقول إن مصر من أقصاها الى أقصاها خالية من قسم ولو صغير فى هذا الفرع العظيم من الجراحة وحبذا لو عنى أولو الشأن وفكروا فى سد هذا النقص



(٢١) الأستاذ بوتي وهو فى غرفة العمليات

ويصح أن أذكر بهذه المناسبة انى قد استفهمت من هذا الأستاذ عن ثمن شريط الصور المتحركة التى عرضها علينا فتكرم بافادتى بخطاب وردنى منه أمس عن ثمنه وأخبرنى أيضاً أنه عازم على زيارة مصر فى آخر هذا العام وقد ينتهز هذه الفرصة لعرض هذه الصور بنفسه على حضرات الأطباء المصريين لو وجد منهم اهتماماً بها فله منا الشكر سلفاً على هذا التفضل العظيم

(١٥)

موسوليني

قنا من بولونيا في اليوم الرابع من ابريل بعد الظهر مسافرين الى فلورنسة
ولقد جلست في الصالون الذي وجدت متاعى فيه وكنت فيه وحدى . وقبيل
أن يتحرك القطار دخل على في الصالون زميل انكليزى والتفت الى مستفهما
أمسموح بالتدخين في هذا الصالون ؟ لأن عربات القطار في ايطاليا ذات
شطرين ، شطر يسمح فيه بالتدخين وشطر لا يسمح فيه بالتدخين
فقلت لا أدري ، واقعد جلست هنا لأن وجدت متاعى على هذا الرف
وأشرت إليه

فقال : أسمح لى بالتدخين ؟

فقلت : نعم ولا بأس على منه

ثم استأنف الحديث قائلاً : أما متاعى فلا أعلم أين هو ولست أريد
أن أهتم به

فقلت له : هذا هو « البرود » المحمود الذى يتميز به الانكليز . أما أنا
فكثيراً ما اهتممت بمتاعى وكان كلما يرانى المرشد الذى معنا قلقاً مهتماً به
يخبرنى أنه هو المسؤول عنه وينصحنى أن أريح نفسى وألا أخاف . لكنى
كلما رأيت اهتمام سائر الزملاء بمتاعهم حدثت حدوهم . فضحك وقال : من
أى البلاد أنت ؟

فقلت : من مصر وقدمت له بطاقتى فقدم لى بطاقته فاذا هو جراح من
ليدز (Leeds)

وجلس تلك الجلسة الانكليزية المعروفة التي كثيراً ما يشاهدها الانسان في القطار في مصر باسطاً ساقيه على المقعد الذي أمامه وأخذ يدخل بغليونه متجاذباً مع أطراف الحديث في شئون شتى . وكنت بكلامه وحديثه مسروراً الى أن سألني : ألم تهتدوا في بحثكم الى مخدر عام يعطى حقناً داخل الوريد ؟ فقلت : لا ؛ وكأنا بحثنا فلم نهتد ، والحقيقة أننا لم نبحت مطلقاً لأن مستشفياتنا خالية من نظام البحث الطبي (Medical Research) الذي أصبح له شأن عظيم في تقدم الطب ورقيه .

ولقد مر علينا (الكمسارى) فرأى الزميل جالساً الجلسة التي وصفتها فأشار اليه اشارة يفهم منها أن هذه الجلسة تخالف القانون فبادر الزميل بالاعتذار وعمد الى معطفه الذي كان على الرف فأخذه وبسطه على المقعد وجلس كما كان جالساً . فأعجبني منه تلك الحيلة التي مكنته من الثبات على مبدئه في جلوسه في حدود القانون . وهي فضيلة من فضائل الانكليز . وحبذا لو حظرت مصلحة السكة الحديدية على الركاب وضع أرجلهم على المقاعد الخالية

ولقد وصلنا الى فلورنسة في الساعة الثامنة مساءً فعلمنا أن الجراح الذي كان عليه أن يقابلنا في اليوم الخامس من ابريل أو كان علينا أن نقابله قد اعتذر عن المقابلة لغيابه عن المدينة في مهمة ضرورية . ولذلك مضينا اليوم كله في التفرج على محاسن المدينة وآثارها . ومن الغريب أنى صادفت في فلورنسة كما صادفت في غيرها من المدن التي زرتها كثيراً من الشبان اليابانيين وكما قابلت واحداً منهم رأيته حاملاً كتاباً أو أكثر منهم كما في الدرس والتحصيل . ومنهم من كان يطالع في الكتاب وهو في عربة الترام . وهي علامة على نهوض اليابان ان كان ينقصها علامة

وسافرنا الى روما في صباح اليوم السادس من ابريل فوصلنا اليها بعد الظاهر لافتتاح المؤتمر في اليوم السابع من الشهر وقد بدأ المؤتمر أعماله بوضع ركلة أو اكليل من الأزهار على قبر الجندي الإيطالي المجهول وقام بهذا العمل المندوبون الرسميون من البلاد المختلفة بالنيابة عن سائر الأعضاء . ثم احتفل بافتتاح المؤتمر في صالة الكايتول افتتحه رئيس الحكومة الإيطالية السنيور موسوليني ثم قام بعده جناب محافظ روما ورئيس الجمعية الجراحية الدولية الأستاذ ويامس ورئيس المؤتمر الدولي الجراحي السابع الأستاذ جيوردانو فالسكرتير العام الدكتور ماير

وقد حضر المؤتمر السابع ٣٦٦ عضواً من جميع أنحاء العالم . فحضر من بريطانيا العظمى نحو ٤٥ عضواً وحضر من مصر الدكتور لاطس بك والدكتور بتريديس وكلاهما من الاسكندرية وكاتب هذه السطور . وكان الجراح الشهير الدكتور على بك ابراهيم عاقداً نيته على السفر وكذلك الدكتور بابايانو فالت دون سفرهما لسوء الحظ ظروف

ويصح أن أذكر تلك الكلمة التي قالها جناب السنيور موسوليني لما فيها من الفائدة . ولقد استهل كلمته بالترحيب بالنيابة عن الحكومة الإيطالية بصفوة رجال الجراحة من البلاد المختلفة ممن لهم الفضل العظيم في النهوض بهذا الفن . ثم قال إن الجراحة كلمة يدل أصلها اليوناني على العلاج بالجرح أو باليد . ومن الظلم أن تقتصر هذه الكلمة على هذا المعنى الضيق أو البسيط . لأن الجراح لا بد أن يكون حاذقاً ماهراً متحلياً بكثير من الصفات المعنوية لكي تسترشد بها اليد في عملها ليفوز بالشرط بالتغلب على كثير من الأمراض ولقد قال إن مما يسره أن تكون النهضة الأولى لفن الجراحة على تربة

إيطالية وذكر مدرسة سالرنو الطبية وذكر بعض من نبغ منها . فالجراح بيده
الرشيقة الخفيفة، وبثبات قلبه ورزاقته، وبحضور ذهنه وذكاؤه، كثيراً ما يخلص
أجزاء جسم الإنسان من أنياب المرض

ثم قال : ولقد اختبرت بنفسى وأنا جندي في الحرب فضل الجراح على
نفسى . وكذلك يعرف هذا الفضل الملايين من الجنود

فاحي فيكم أنتم أبطال الاسعاف قيامكم بالواجب عليكم لا تقاذ الأرواح
الكثيرة . أحي فيكم المهمة التي لا تنى والنشاط الذي لا يكل والعمل المتواصل .
فانتم تمتازون عن أبطال الحروب لأنهم يستريحون في نهاية الحرب ، ولكل
حرب نهاية مهما طالت . أما أنتم فدائماً أبدأ في الميدان لا تألون جهداً في
اسعاف من يقع من الضحايا في ميدان الحياة . ولا شك أن ضحايا هذا الميدان
أكثر كثيراً من ضحايا ميدان الحروب . أنتم أبطال المعارك اليومية التي تشنون
غاراتها على الأمراض المختلفة

وقال أخيراً إنه يسره أن يرانا نازلين حيوفاً في روما راجياً منا قبول تحياته
القلبية مع الاعجاب والاحترام

فصفق له الأعضاء تصفيقاً حاداً شديداً وهتفوا له هتافاً عظيماً . وتلاه
من ذكرنا أسماءهم من الخطباء

ولما انتهت الجلسة وأخذ الأعضاء ينصرفون عقب انصراف الرئيس
موسوليني سمعنا اضطراباً ورأينا هرجاً ومرجاً فتساءلنا عن السبب فقبل لنا
إن سيدة أرادت الفتك بالرئيس فرمته وأشوته لأنها أخطأت الرمي فجاءت
الرمية ولله الحمد في غير مقتل إذ أصابته في أنفه احابة خفيفة على نحو ما علم
القراء مما جاء في البرقيات

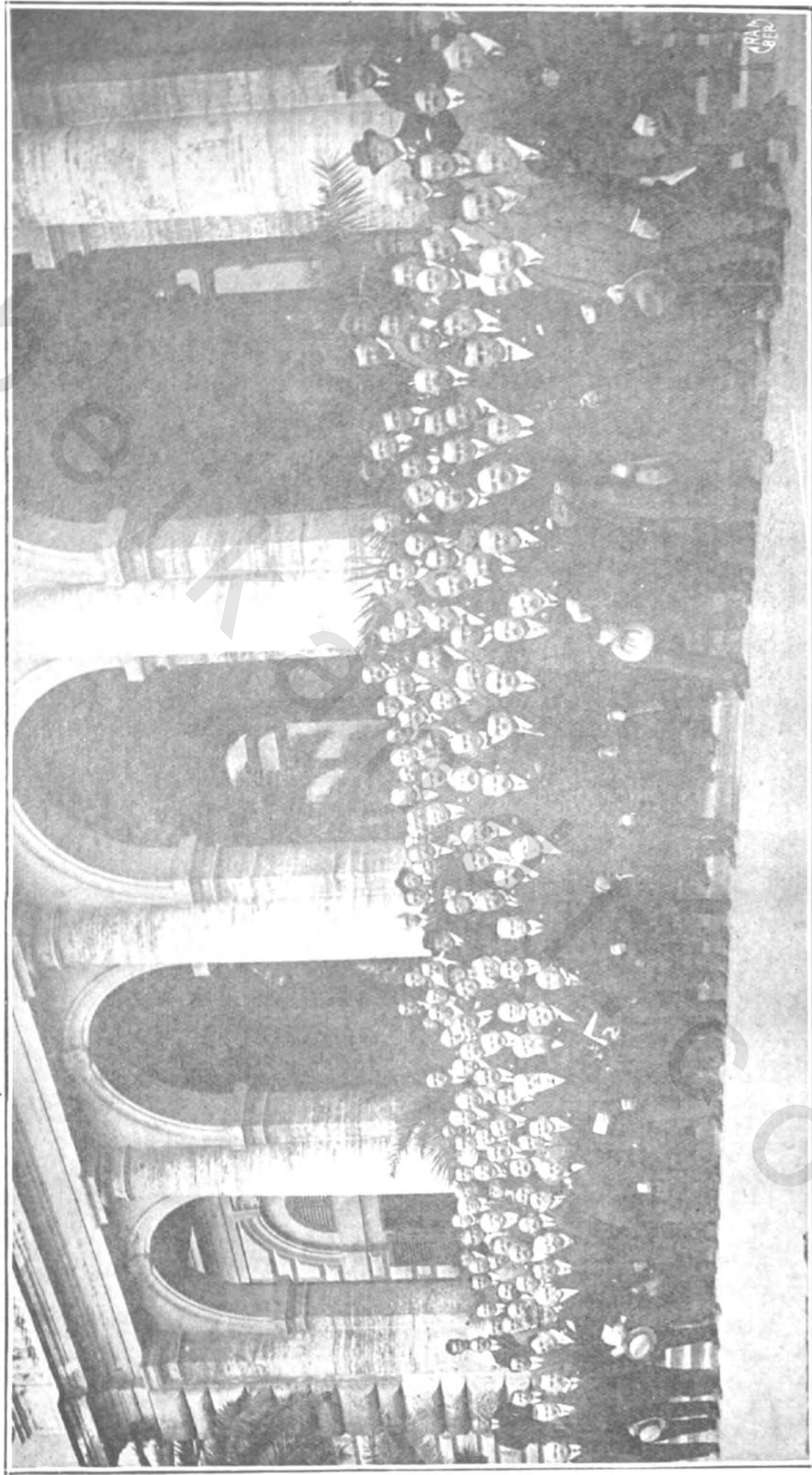
واقعد أسعف الرئيس مباشرة ثم ركب سيارته بين التصفيق الشديد والهتاف العظيم الذي بلغ عنان السماء . وبادر المؤتمر الى تهنئته والدعاء له بعاجل الشفاء . وكنت ترى يومئذ الأعلام تحفق على البيوت والخوانيت والقصور والفنادق ، وكنت ترى أيضاً عربات الترام مزينة بالأعلام تسير وفيها الشبان الايطاليون يتظاهرون بالفرح والسرور لنجاة رئيس الحكومة . موسوليني ، وجدير بهم أن يفعلوا ذلك لأن موسوليني رجل إيطاليا وواحدھا لأنه نهض بها ولا يزال ينهض بها نهوضاً عظيماً

(١٦)

المؤتمر الجراحي الدولي السابع

عقد هذا المؤتمر جلساته في مجمع المستوصفات (بوليكلينيك) الذي في شارع همبرت الأول — ومجمع المستوصفات هذا هو أكبر مستشفى في روما . ويتألف من جملة أجنحة كبيرة يتصل بعضها ببعض بواسطة دهايز كبيرة فيها مصاعد . فهناك جناح لأمراض العيون ، وجناح للأمراض الباطنية ، وجناح للعوارض ، وجناح للجراحة ، وجناح لجراحة التشوهات ، وجناح لأمراض النساء والولادة وهكذا لكل فرع جناح . والمستشفى يحتوي على ألف سرير تقريباً ، وله منظر جميل . وفي مدخله العمومي يجد الإنسان نماذج صغيرة لجميع أجزاء المستشفى على نحو منضدة عظيمة مغطاة بالزجاج تسهل عليك فهم شكل المستشفى ونظامه

ودار البحث في الجلسة الأولى على علاج سرطان الرحم مما كانت نتيجته



(٢٦) اعضاء المؤتمر الجراحى الدولى السابع الذى عقد فى ابريل سنة ١٩٢٦ فى روما

انه يعالج بالاستئصال بعملية جراحية فان لم تتيسر فليعالج بالأشعة المجهولة أو بالراديوم ، أو بهما معاً ، وذلك حسب الطرق الحديثة

ودار البحث في الجلسة الثانية على علاج أورام المخ . وأغلب ما قيل في هذا الموضوع قد يتجافى عن مألوف أكثر الجراحين في مصر !

ولقد قام في هذه الجلسة الدكتور ادسون وهو من روشستر فتكلم على نيورالجيا العصب التوأى الثلاثى بانياً كلامه على تجاربه في أكثر من ٩٠٠ حالة . وهو يفضل معالجته بالحقن بالكوكول فإن لم ينفع هذا الحقن قطع الجذر الخاص بالإحساس وأبقى الجذر الخاص بالحركة ووصف خطوات العملية ثم عرض علينا بالصور المتحركة طريقة العملية وبعض المرضى وهم في حالة النوب قبل العلاج وبعض العلاج . ولما أبدت استغرابى لأحد رفقائى من هذه الخبرة الواسعة لأن هذا المرض نادر عرفنى أن هذا الدكتور متوفر على هذا المرض وأن المرضى تذهب إليه من جميع النواحي . ولقد أخبرنى أيضاً أن الظروف قد ساعدته وذهب إلى مستشفى متفرجاً فراه يعمل هذه العملية « بالجملة » ولقد قام بعده المستر سوتار يعرض علينا آلة بدیعة من اختراعه لفتح الجمجمة وهى قريبة المشابهة بآلة كوديفيلا التى سبق الكلام عليها

وفي جلسة اليوم التاسع من ابريل تناقش أعضاء المؤتمر في النتائج البعيدة لعلاج الصرع اجاكسونى Jacksonian Epilepsy علاجاً جراحياً ، وابتدأ الموضوع الدكتور لريش Leriche معتقداً أن المرض ناشئ عن ندبة في الجواهر القشرى للمخ عقب رض ووصى باستئصال الندبة إن أمكن وقال إنه وجد للعلاج بالأشعة والمحافظة على توازن السائل الخى الشوكى بعض

الفائدة . ثم قام بعده من ارتاب في نشوء هذا الصرع نشوءاً عارضياً مما لا يهم الجمهور

وكان موضوع المناقشة في صباح العاشر من ابريل هو جراحة الطحال أما موضوع المساء في اليوم نفسه فهو خراج الكبد

وبعد ذلك عقد المؤتمر في صباح اليوم التاسع من ابريل جلسة ادارية أجمع المؤتمرين فيها على عقد المؤتمر الثامن في سنة ١٩٢٩ في فارصوفيا (بولندة) تلبية لدعوة وردته من الحكومة البولندية . وعينوا الأستاذ هارتمان رئيساً له . ثم تناقش الأعضاء في مسألة قبول الأعضاء الألمانين والنمساويين الذين حذفت أسماؤهم من العضوية بسبب الحرب العظمى . ولقد أثار هذه المسألة الأعضاء اليابانيون وكانوا قد كاتبوا سائر الأعضاء بشأنها قبل ميعاد المؤتمر . فكان القرار كما يأتي :

« يقبل جراحو الدول المتوسطة (المانيا والنمسا) الذين كانوا أعضاء في الجمعية الجراحية الدولية قبل سنة ١٩٢٠ يوم تقبل الدولتان في عصبة الأمم على شرط أن يقبل هؤلاء الأعضاء قانون سنة ١٩٢٠ » وهذا يقضى بزيادة رسم الاشتراك

ولعل في هذا القرار شيئاً من ادماج السياسة في العلم ادماجاً يبرره كون الجمعية الجراحية الدولية بلجيكية الجنس

ولعل هذه المسألة تسوقني الى ذكر ما يجب أن أذكره مما جعلني اعنقد أن المصري غريب في بلاده وأن الغريب صاحب الدار . فقد مثل مصر في مؤتمر لندن في سنة ١٩٢٣ الدكتور بتريديس وهو يوناني الجنس . ومثلها هذا

العام في مؤتمر روما الدكتور لاطس بك وهو إيطالي الجنس . وإني وإن كنت بعيداً عن التعصب ولا أميل إليه ، ومعقداً بأن العلم لا وطن له ، ومؤمناً بأن مصر ليست بأكبر من أن تعان علمياً بل قد تكون هذه الإعانة العامة ضرورية ، أقول وإني وإن كنت لا أحفظ في قلبي لهذين الدكتورين ولغيرهما من الزملاء الأجانب المقيمين في مصر إلا المحبة والاحترام ، أقول وإني وإن كنت كذلك إلا أنه قد تملكني ساعة ان علمت بهذا التمثيل شيء من الغضب واستولى على نفسي شيء من الحزن والأسى . ولقد حدثت من تعرفت بهم من المندوبين الرسميين فوجدتهم على رأي تماماً يعدون هذا التمثيل إهانة لمصر عامة وللأطباء المصريين خاصة . ولقد هممت أن احتج رسمياً في المؤتمر لولا ان هؤلاء المندوبين أقنعوني أن المؤتمر لا ذنب له مطلقاً وأن اللوم كل اللوم علينا نحن الأطباء المصريين . فهل لسعادة رئيس الجمعية الطبية المصرية الجراح الشهير الدكتور على بك ابراهيم أن يعمل على تأسيس فرع للجمعية الجراحية الدولية في مصر برئاسة فينتخب هذا الفرع من يشاء من المصريين لتمثيل مصر في المؤتمر القادم ان شاء الله تعالى

الاسعاف الهوائى

تكرمت علينا وزارة الحرية الفرنسية ونحن بالمؤتمر بإرسال ضابط برتبة كولونل يشرح لنا طريقة نقل الجرحى بالطائرات مما يسميه الايطاليون بالطيران الصحى Aviazioni sanitaria ومما رأيت أن أسميه بالاسعاف الهوائى . فشرح لنا بالصور المتحركة كيف كانت الجرحى تنقل فى الزمن القديم بحمل الجريح أو بوضعه على حمار أو حصان حملاً أو نقلاً كثيراً ما يؤذى المصاب ثم تقدمت وسائل الاسعاف بتقديم وسائل النقل فصارت الجرحى تنقل فى العربات أو السيارات على نحو ما تقوم به جمعية الاسعاف فى مصر . ولكن القوم فى فرنسا وجدوا أن هذه الطريقة قد لا تنى بالغرض المقصود من اسعاف الجريح بالسرعة التى يقتضيهها الاسعاف لبعدها المستشفيات التى تعالج فيها الجرحى أحياناً عن المكان الذى يصابون فيه ولوعورة الطريق فى ما بينهما كما حدث ذلك فى الحرب المغربية الفرنسية الأخيرة والحرب السورية الفرنسية . ولذلك عمدوا لنوع جديد من الطائرات فاستخدموه لنقل الجرحى وهذا النوع من الطائرات يسير على الأرض كالسيارة فإذا لم تكن الطريق ممهدة لسيرها حلفت فى الجو كأنها طائرة . وهناك نوع آخر من السيارات قد يتحول عند اللزوم إلى رفاص بحرى فى الماء . ولقد أرانا هذا الكولونل بالصور المتحركة كيف تطير الطائرة من بلاد مختلفة فى المغرب الأقصى إلى بلاد أخرى فى فرنسا . وكانت هذه الصور توضح لنا المسافة ما بين البلاد المغربية والبلاد الفرنسية بالكيلومترات وتوضح لنا أيضاً الزمن الذى تأخذه الطائرة

لقطع هذه المسافة مع مقابلة سرعتها بسرعة غيرها من وسائل النقل الأخرى ولما انتهى الكولونل من محاضرتة دعانا لمشاهدة طيارة من هذا النوع في ميدان الطيران برومية فذهب كثير من أعضاء المؤتمر في الميعاد المحدد لمشاهدة هذه الطيارة . وكنت من الذين ذهبوا . فرأينا الطيارة بعجلتين ولها في مقدمها كالمجذافين وفيها حجرة صغيرة تسع جريخان الواحد فوق الآخر ويجانبهما مقعد صغير للطبيب أو الجراح . وفي هذه الحجرة الصغيرة غلاية كهربائية لغلى الآلات الضرورية للإسعاف ، وفيها أيضاً دفاية كهربائية لتدفئة القطائف (البطاطين) التي يغطى بها الجريخان . وفيها أيضاً ترموس لحفظ حرارة الماء . وأمام هذه الحجرة مكان لسائق الطيارة

ثم شهدنا هذه الطيارة وقد أدخل فيها الأستاذ جيوردانو رئيس المؤتمر والأستاذ هارتمان رئيس المؤتمر القادم كأنهما جريخان دخل معهما الكولونل الفرنسي كأنه طبيب . ثم صعد إلى الطيارة سائقها . ووقف جنديان ، جندي إلى كل جانب ، يدفع المجذاف الذي بجانبه نحو الجندي الآخر دفعاً دائرياً لتحريك محرك الطيارة . وربما كان هذان المجذافان اللذان في مقدم الطيارة كتلك اليد التي تكون في مقدم السيارة ويحركها السائق حركة دائرية لتسيير السيارة . ولما تحرك المحرك سارت الطيارة على الأرض في ميدان الطيران وأنظارنا متجهة إليها . وبعد أن سارت نحو كيلومترين أو أكثر حالقت في الجو فإذا هي طيارة . ولقد طارت مسافة بعيدة . ولبثت طائرة زمناً غير قصير ثم هبطت على بعد منا وتقدمت نحونا سائرة على الأرض كأنها سيارة . ثم أخرج الأستاذان منها كأنهما جريخان بين التصفيق والتهنئة بسلامة الوصول وقد كان المصور يأخذ صور الحركات المختلفة جميعها لعمل شريط لتمثيلها بالسينما

وقبل انصرافى من ميدان الطيران تقدمت للكلونل شاكرًا وأبدت له إعجابى بما رأيت وسألته أمن الممكن الحصول على نسخة من الشريط الذى عرضه علينا فاعتذر قائلاً إنه يأسف لأن الشريط لوزارة الحربية ولا يظن أنها تقبل بيع نسخة منه . وكان غرضى من الحصول على الشريط أن أعرضه فى مصر بياناً لما وصل إليه القوم من الرقى فى وسائل اسعاف جرحاهم ومرضاهم والعناية بأمرهم عناية عظيمة ودليلاً فى الوقت نفسه على درجة تأخرنا تأخرًا سوف يحاسب عليه أغنياؤنا وأولو الشأن فىنا ، لا فى البرلمان ، ولكن فى الآخرة أمام الله ، حساباً عسيراً يوم يسألون عما قدمت أيديهم مما أعطاهم الله من ثروة أو سلطة أو نفوذ أو جاه رحمة بالفقراء وبراً بالإنسانية . ولو اطلعت أيها القارىء على الصور المتحركة التى عرضت علينا لعلمت أن الطرق الأثرية القديمة التى كانت الجرحى والمرضى تنقل بها عندهم فى العصور السالفة هى الطرق الحديثة التى لا تزال شائعة عندنا فى القرن العشرين فى جميع بلاد القطر المصرى ما عدا البلاد التى فيها جمعية للاسعاف كمصر واسكندرية ووطنطا ولتعلم أن كثرة المستشفيات فى البلاد الراقية كثرة تجعل لكل مئة شخص تقريباً سريرًا فى المستشفى ، وأن كثرة الأطباء فيها كثرة تسهل على المرضى والجرحى العلاج وتقربه إليهم ، وإن سهولة المواصلات بتعدد الطرق السلطانية عندهم ، أقول ولتعلم أن كل ذلك مما يجعل تلك البلاد فى غير حاجة إلى استخدام الاسعاف الهوائى إلا فى أثناء الحرب . أما نحن فلجرمان بلادنا من العدد الكافى من المستشفيات ، ولحرمانها من العدد الكافى من الأطباء ، ولحرمانها من العدد الكافى من الطرق السلطانية فأشد حاجة منهم إلى هذا النوع من الاسعاف فى زمن السلم فقط . وكل أيا مناسلم حتى فى الخصام

وحتى في حالة الاعتداء علينا ما دمنا محرومين من الجيش أيضاً وحاشى أن أدعو الآن لنظام الاسعاف الهوائى في مصر ولكنى أدعو لكثرة المستشفيات ولكثرة الأطباء ، ولكثرة الطرق ، وهذه كلها لا تتيسر إلا بعد زمن طويل ولذلك أدعو ، بصفة اسعاف ، الى إنشاء جمعية اسعاف في كل مركز على نسق جمعية الاسعاف في مصر تؤدي إلى المركز ما تؤدي إليه جمعية الاسعاف من الخدمات الجميلة

ولم نحرم من الولايم في أثناء المؤتمر لأننا دعينا لزيارة تيفولى في مساء اليوم التاسع من ابريل . وكانت الدعوة من جراحى ايطاليا . فزرنا آثار تيفولى القديمة وشهدنا شلالاتها الجميلة وتناولنا الشاى . ومن سنن العرب تسمية الشىء باسم جزئه نحو قولهم « حرر فلان رقبة عبده » يريدون بذلك اطلاق سبيله فيستعملون الجزء وهو الرقبة عوض الكل . وهذا ما اتبعته في قولى وتناولنا الشاى لأنه لم يكن إلا صنفاً من صنوف كثيرة تناولناها والموسيقى تشنف أسماعنا بنغماتها الشجية . وكذلك دعينا في مساء العاشر من ابريل للحفلة الختامية للمؤتمر . فتناولنا العشاء في الصالة البديعة التى في فندق اكسلسيور Excelsior Hotel وهو أنخم فندق في روما ولقد كانت هذه الحفلة دليلاً محسوساً على كرم الجراحين الايطالين وعنايتهم بنا عناية تفوق حدود الشكر . ولقد جلست في أثناء تناول العشاء في هذه الحفلة الى يسار سيدة أظنها فرنسية جرى لى معها أو جرى لها معنى حديث لا بأس من ايراده تفككة للقراء وخلاصته اننا لما وقفنا في نهاية كلمة رئيس المؤتمر لنشرب في صحة السنيور موسولينى قدمت لها قدحى ورجوت منها أن تصب لى فيه قليلاً من قارورة الماء المعدنى التى كانت أمامها . فأخذت تصب في القدح

وهي تقول . ما هكذا يشرب النخب ، أعمود أنت ؟ فقلت : نعم ، وأردت
اختصار الحديث لأنني كنت أريد سماع أقوال الخطباء
فقلت : أفى مثل هذه الظروف ولمثل هذه المناسبة تضررك جرعة من
المشروب تتناولها مجارة للناس !
فقلت : الحقيقة يا سيدتي اني مسلم يحرم على ديني تناول شيء من الخمر
سواء أ كان قليلاً أم كثيراً
فقلت : من أي البلاد أنت ؟
فقلت : من مصر
فقلت : أكل المصريين مثلك
فقلت : منهم من هو مثلي ومنهم من هو مثلكم . وهنا علا الهاتف
بحياة موسوليني فقلت مع الهاتفين قاطعاً الكلام « ليحيي موسوليني »

(١٨)

الاسعاف الهوائي

(تابع ما قبله)

الاسعاف الهوائي هو الاسم الذي تخيرته لما يسميه الايطاليون الطيران
الصحي كما ذكرت . ويقصد بذلك الى استعمال نوع خاص من الطائرات لنقل
الجرحى من ميادين الحرب الى المستشفيات . ويظهر أن وسائل الاسعاف
تتقدم بتقدم وسائل النقل . فقد أتى على الانسان حين من الدهر كانت وسائل
النقل برّاً لا تعدو عن الخيل والبغال والحمير والجمال ، ثم تقدمت فصارت
بالعربات يشدها أنواع مختلفة من الحيوان ، ثم بالعربات تسير بالبخار

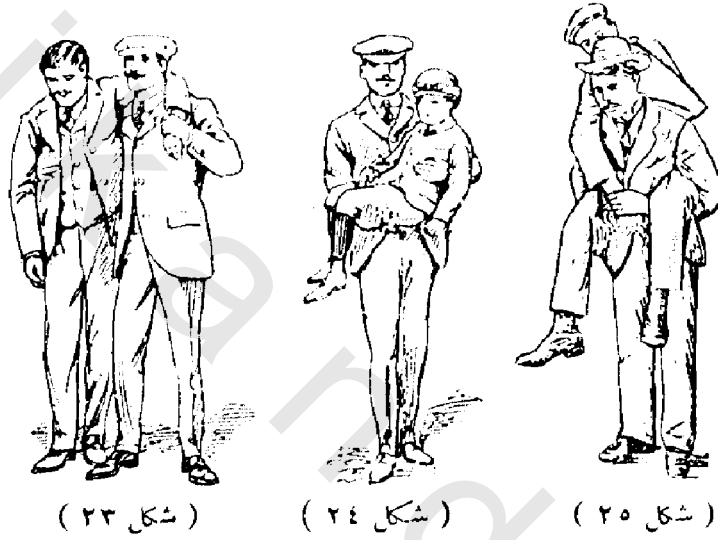
والكهربائية ، ثم بالسيارات التى عمادها على البنزين ، وهما نحن نشهد الآن انتشار الطيران للانتقال من مكان الى مكان . وكانت وسائل النقل بحراً بالسفن الشراعية فأصبحت بالبواخر تدار أجهزتها البخارية إما بالفحم وإما بزيت البترول . وقد شهدنا فى مدة الحرب الكبرى انتشار الغواصات وما كانت تجره على قوم من المصائب فاذا هى فوائد للآخرين

ولقد سلكت وسائل الاسعاف هذا السبيل فكان الجريح أو المريض ينقل فى الأزمنة الغابرة حملاً بالأيدى أو على ظهور الخيل والبغال والحمير والجمال نقلاً بغير نظام وقواعد، كثيراً ما يضر الجريح أو المريض، ثم نظم النقل باليد والرج (النقالة) فصار ينقل المصاب باليد إما بحامل واحد أو بحاملين أو بثلاثة (١) نقل المصاب باليد بحامل واحد — يمكن نقل المصابين باصابات فى الرأس أو العنق أو الجزء العلوى من الصدر أو المصابين باغماء بحامل واحد بطريقة من الطرق الآتية :

(أ) وضع الاعتدال : يضع الناقل أو الحامل كتفه تحت إبط المصاب من الجهة السليمة ، ويضع المصاب ذراعه خلف الجزء الخلفى من عنق الحامل والكتف الأخرى ، ثم يقبض الحامل على ذراع المصاب التى على كتفه بيد هذا الجانب بينما تحيط ذراعه الأخرى بخاصرة المصاب (شكل ٢٣) وبهذه الطريقة يمكن الانسان أن يسند المصاب لو أغمى عليه

(ب) ينقل المصاب على الذراعين كالطفل : يحمل الناقل المصاب بوضع احدى ذراعيه حول خصر المصاب والذراع الثانية أسفل ركبتيه ويكون المصاب فى موضع الجلوس . ولا يتيسر النقل بهذه الطريقة الا اذا كان المصاب خفيفاً والمسافة قصيرة (انظر شكل ٢٤)

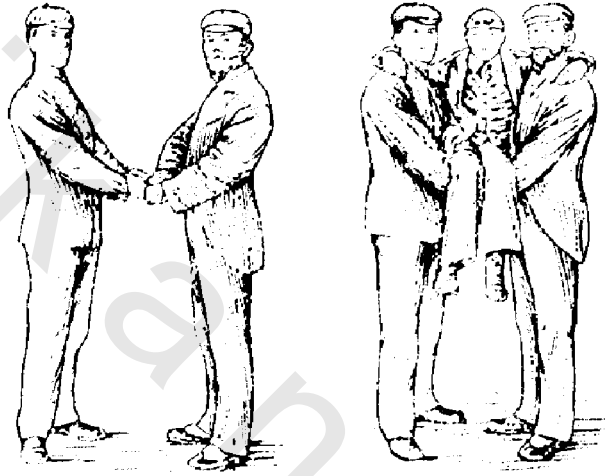
(ج) يضع المصاب نفسه على ظهر الحامل واضعاً إحدى ذراعيه على كتف الحامل، ويضع الحامل ذراعيه أسفل ركبتى المصاب، ويقبض بأحدى راسغ المصاب فى الجانب الثانى وبذلك يمنع من السقوط وبهذه الطريقة يمكن الانسان أن يحمل المصاب الذى يكون أثقل منه الى مسافة بعيدة (انظر شكل ٢٥)



النقل باليد بحاملين — يستطيع الناقلان حمل المصاب (أ) بالمقاعد اليدوية أو (ب) بالمقاعد المدبرة أو (ج) فى الوضع الافقى (أ) المقاعد اليدوية . تكون هذه المقاعد على اشكال كثيرة

مقعد اليدين — تناسب هذه الطريقة المصاب الخائر القوى الذى يلزم رفعه عن الأرض . ولحمل المصاب بهذه الطريقة يجلس احد الناقلين على يمين المصاب والآخر على يساره . ويكون وجههما نحوه . يركعان على الركبة بالقرب من قدميه ، ويضعان يديهما تحت إبطى المصاب ويرفعانه فى وضع نصف الجلوس ويسندانه بركبتيهما الثانيتين . وبعد ذلك يضعان يديهما تحت نخذ

المصاب ، ويشبكان يديهما بالأصابع مع جعل راحتيهما الى أعلى ، وبذلك يتكون المقعد ، ثم يقومان معاً بثبات ، ويرفعان المصاب من الأرض ويضعان في الوقت نفسه اليدين الثابنتين على نخذيهما لاسناد ظهر المصاب ويطلب منه وضع احدى ذراعيه حول عنق احدهما والذراع الثانية حول عنق الآخر اذا لم يكن فاقد الشعور (شكل ٢٦ و ٢٧)



(شكل ٢٦)

(شكل ٢٧)

ويمكن شبك اليدين بالطريقة الموضحة في (شكل ٦)

ولست هذه الطريقة سهلة لأنها تجعل ثقل



(شكل ٢٨)

المصاب كله على الذراعين وغالباً على الاصابع فلا

تحمل المصاب الا فئة قليلة من العضلات

مقعد ثلاث الايدي — لا تناسب هذه الطريقة الا المصابين الذين

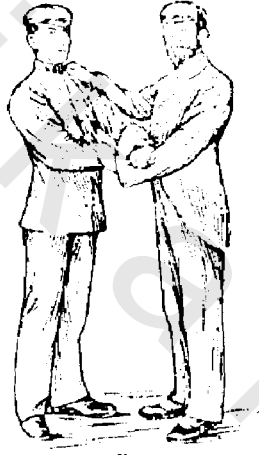
يستطيعون أن يسندوا أنفسهم فلا تستصوب لنقل المغمى عليهم ، لكنها

طريقة متينة ويقوى فيها الناقلان على السير ويكون أسهل منه في حالة المقعد

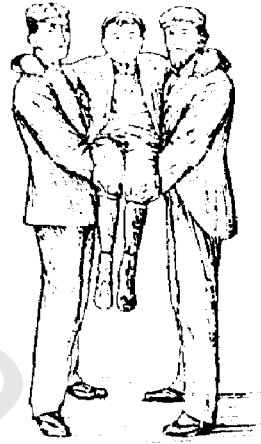
باليدين أو بالأربع . والطريقة هي أن يجلسا على جانبي المصاب ويكون وجههما

نحوه . ويقبض الحامل الذي على الجهة اليمنى ساعده اليسرى بيده اليمنى

ويقبض بيده اليسرى الساعد اليسرى للحامل الذى على الجهة اليسرى .
ويقبض الأخير بيده اليسرى الساعد اليمنى للحامل الذى على الجهة اليمنى
ويضع اليد الباقية على الكتف اليسرى للحامل الأيمن ، ثم يركع الحاملان
ويضعان هذا المقعد تحت نخدى المصاب ، ويرفعانه ، ويسند المريض نفسه
بوضع يديه حول عنقهما



(شكل ٢٩)



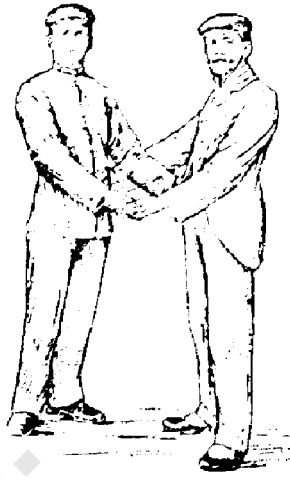
(شكل ٣٠)

مقعد أربع الأيدي — يناسب الحمل بهذه الطريقة المرضى الذين يستطيعون
سند أنفسهم جيداً بوضع أيديهم على كتف حامليهم . والمقعد سهل لا خطر
فيه على المصاب لأنه يكون محمولاً بكل العضلات الاعتيادية التى فى الذراع
والطريقة هكذا : يأخذ الحاملان مكانهما من المصاب



(شكل ٣١)

على جانبيه ويقبض كل منهما راسغه اليسرى بيده اليمنى
ورسغه زميله بيده اليسرى (شكل ٣١) ثم ينحنيان ،
ويضعان هذا المقعد أسفل نخدى المصاب الذى يضع ذراعيه
حول عنقهما بعد أن يتبوأ مكانه جيداً (شكل ٣٢ و ٣٣)



(شكل ٢٢)



(شكل ٢٣)

(ب) المقاعد المدبرة - يسهل الحمل اذا استطاع الناقلان أن يدبرا مقعداً من حزام أو من حبل متين أو من قطعة قماش فيعملان مقعداً مستديراً يجلس عليه المصاب بدلاً من الأيدي

(ج) النقل في الوضع الأفقي : يقف الحامل الأول عند رأس المصاب ، ثم ينحني ، ويضع ذراعيه تحت كتفي المصاب ويعقد يديه أمام صدره ، ويقف الحامل الثاني أمام المصاب ويبن قدميه بحيث يكون ظهره نحو المصاب ، ثم ينحني ويقبض على رجليه خلف الركبتين . ثم ينتصب الحاملان معاً (شكل ٣٤)



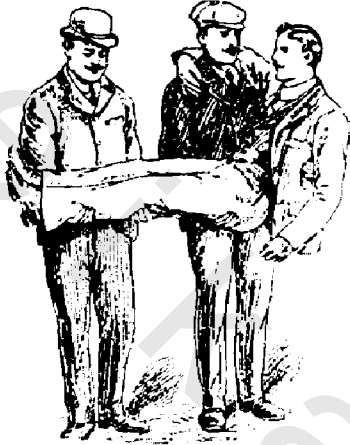
(شكل ٣٤)

ويحسن أحياناً أن يضع الحامل الثاني كلتا الساقين على ذراع واحد اذا كان المصاب سيده . ويمكن أن يحمل المصاب بالطريقة

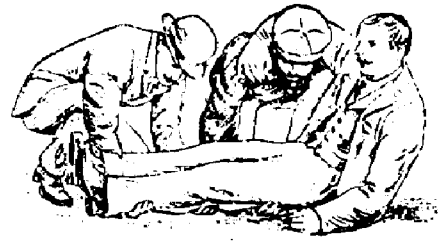
الآتية : يقف الحاملان على جانب واحد ، وليكن ذلك في جانب الإصابة اذا كانت في الطرف السفلي ، ويكون الأول في محاذاة الكتف والصدر

والثاني في محاذاة الركبة والساق . ويركمان على ركبة واحدة ثم يرسل الأول يديه وذراعيه تحت كتفى المصاب ونخذه ، ويرسل الثاني يديه منفصلتين تحت ساقه (شكل ٣٥) ثم يقومان بثبات معاً . ويطلب من المريض أن يضع ذراعيه حول عنق الحامل الأول إن استطاع

(شكل ٣٦)



(شكل ٣٦)



(شكل ٣٥)

(٣) النقل بثلاثة أشخاص — يسهل نقل المصاب باصابة شديدة في الوضع الأفقي بثلاثة أشخاص ، وذلك بالطريقة الآتية : يقف اثنان على جانبي المصاب أحدهما على اليمين ، والآخر على اليسار ، ووجههما نحوه . ويقف الثالث في محاذاة الركبتين ويكون في جهة الاصابة اذا كانت في الطرف السفلي . ثم يركعون كلهم على ركبة واحدة ، ويرسل الاثنان الأولان أيديهما تحت ظهر المصاب ونخذه ويعقدان أصابعهما ويرسل الثالث يديه منفصلتين تحت الفخذين والساقين (شكل ٣٧) أو إن كانت الاصابة كسراً ، فليرسل احدي اليدين أعلى الكسر والآخرى أسفله . ثم يرفعون المريض وهم ساندوه أولاً على ركبهم ثم يقومون ، و يضع المصاب ذراعيه حول ظهر الاثنان الأولين إذا استطاع (شكل ٣٨)

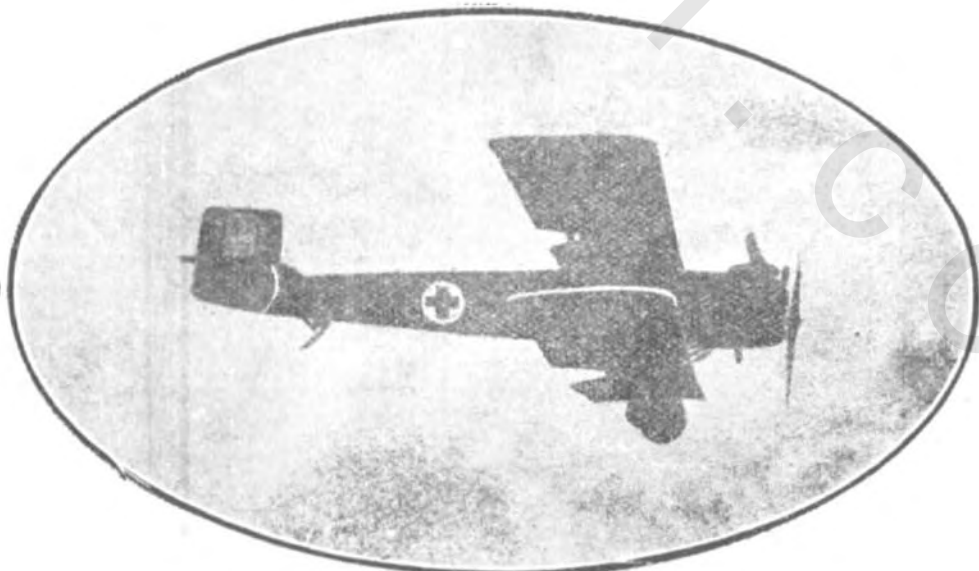


(شكل ٣٨)



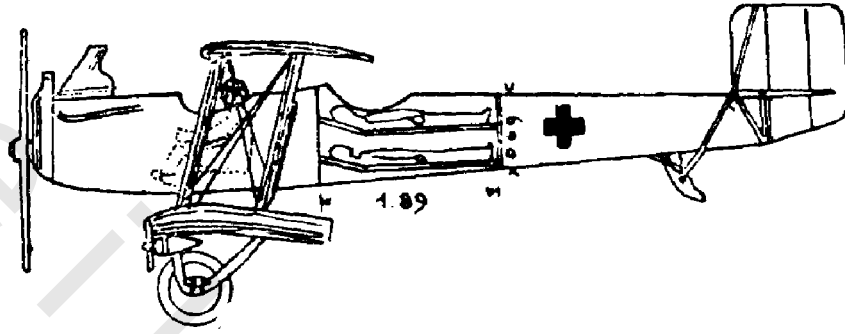
(شكل ٣٧)

ولما اخترعت السيارات استعملت أخيراً للإسعاف ، وكذلك كانت تستعمل البواخر في أيام الحرب العظمى لنقل المرضى والجرحى .
ولقد فكر القوم أخيراً في استعمال الطائرات للإسعاف مدفوعين بالسرعة التي يقتضيها الإسعاف وبعدم صلاحية الطرق أحياناً لمروور السيارات ولقد اخترعوا طائرات بشكل غريب تصلح للسير على الأرض كالسيارة فاذا تعذر السير لعدم صلاحية الطريق حلقت في الجو وصارت طائرة . كما ترى في (شكل ٣٩)



(شكل ٣٩)

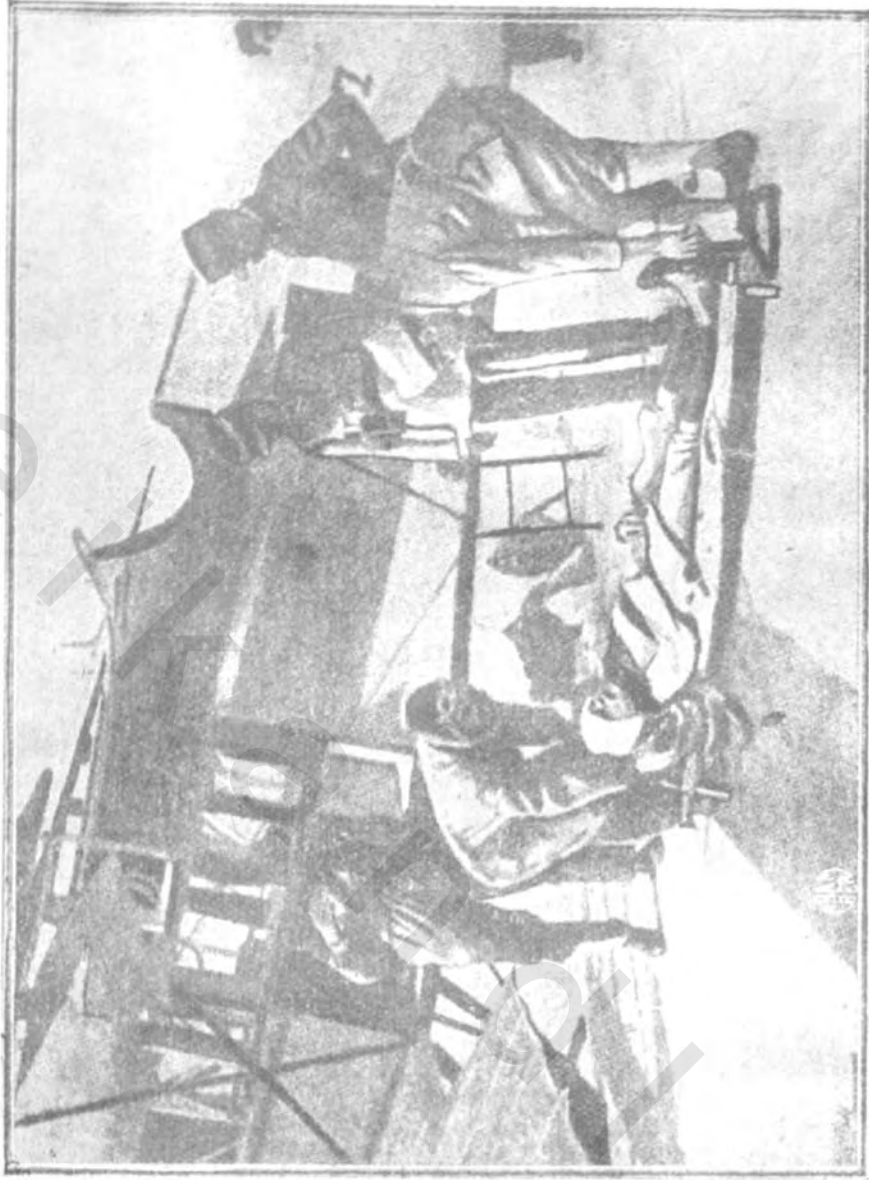
وهذه الطائرة تسع جريحين الواحد فوق الآخر عدا السائق كما ترى
في (شكل ٤٠)



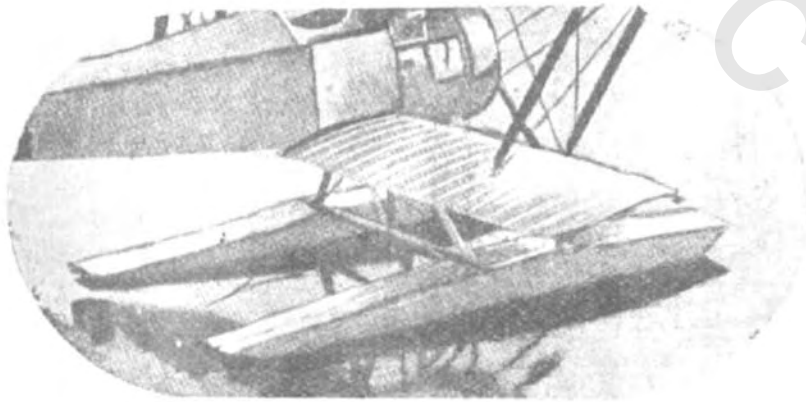
(شكل ٤٠)

وفيها أيضاً مكان للطبيب أو الممرض بجانب الجريحين .
ويوضح لك الشكل الحادى والأربعون طريقة ادخال الجريح فى الطائرة
والشكل الثانى والأربعون يوضح لك طرزاً حديثاً من الطيارات قد
يتحول عند الضرورة إلى دفاص صغير يسبح فى البحر
أما الشكل الثالث والأربعون فيبين لك الجريح وهو نائم فى الطائرة
وفى داخل الطائرة غلاية كهربائية لتعقيم الآلات الجراحية الضرورية
للإسعاف ، وكذلك فيها دفاية كهربائية لتدفئة الجريح وتسخين القطائف التى
يغطى بها . وفيها أيضاً ترموس .

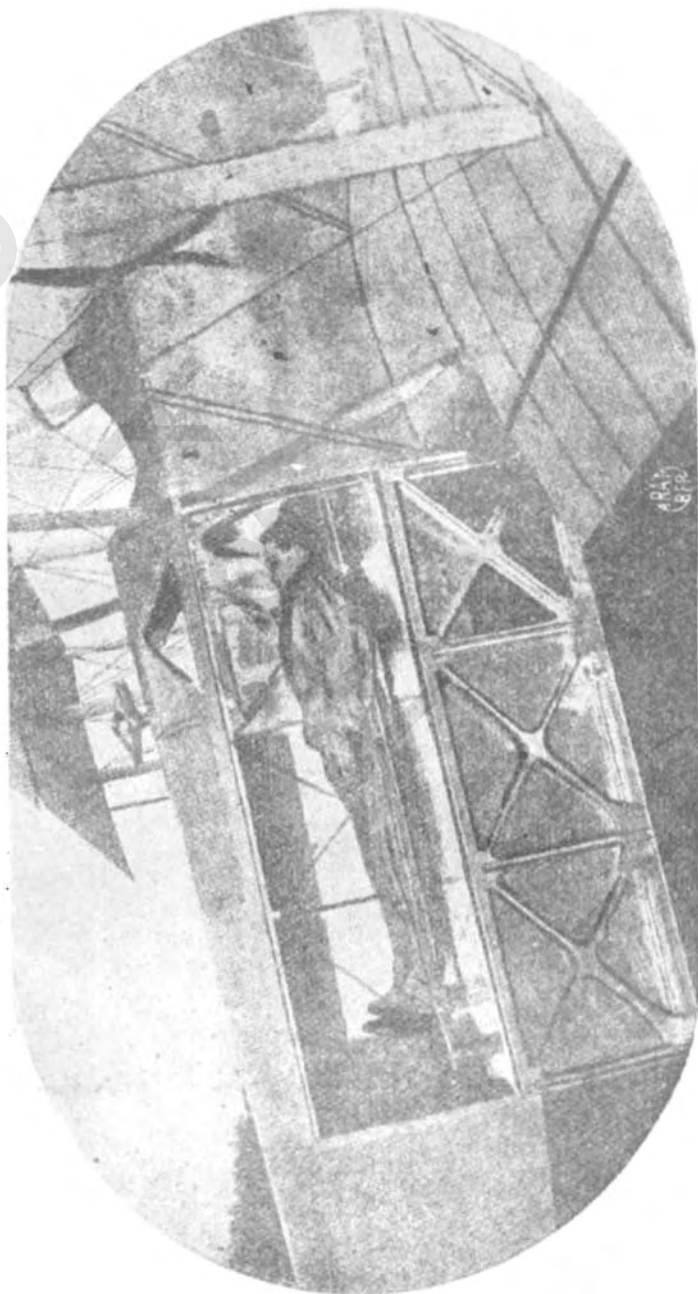
ويستعمل الفرنسيون هذه الطيارات لإسعاف جرحاهم فى الحرب
السورية الفرنسية والحرب المراكشية الفرنسية اسعافاً هوائياً أتى بنتائج
حميدة جداً لأنه سهل نقل الجرحى من مراكش إلى فرنسا حيث تعمل لهم
العمليات الضرورية فى الوقت المناسب بدون تأخير



(شكل ٤١) طريقة ادخال الجريح في الطائرة



(شكل ٤٢) طائرة تتحول عند الضرورة الى دفاص صغير يسبح في البحر



(شكل ٤٣) المبرج وهو نائم في الطائرة

(١٩)

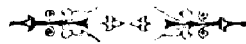
تعليم الطب

كنا ونحن بروما نرى كل يوم ، فى أثناء المؤتمر وبعده ببضعة أيام ، بياناً للعمليات الجراحية التى تعمل فى أغلب مستشفيات روما ، يذكر فيه أسماء الجراحين الذين يقومون بعملها ، ويوضح فيه وقت عملها ، فكان كل واحد منا يختار المستشفى الذى يذهب إليه تبعاً للعمليات التى يريد أن يراها أو تبعاً للجراح الذى يريد الواحد منا أن يراه وهو يعمل عملياته . فعزمت ذات يوم أن أرى الأستاذ فيدوفا وهو جراح التشوهات . وكان موعد العمليات فى اليوم الذى اخترته هو منتصف الساعة العاشرة صباحاً فى قسم جراحة التشوهات فى البوليكلينيك . وخرجت من الفندق مبكراً فى هذا اليوم لأنى وصلت إلى المستشفى فى منتصف الساعة الثامنة صباحاً ، ورأيت أن أستاذ فى الدخول الى المستشفى رجاء الاستفادة من علوم القوم وتجاربهم . ولشدة ما دهشت إذ علمت أن الأستاذ فيدوفا موجود فى المستشفى فى هذا الوقت . فقدمت له نفسى ورجوت منه أن يسمح لى بمرافقته لأطلع على أعماله فتكرم بالسماح لى مسروراً . وكان وقتئذ واقفاً مع مساعديه يفحص صورة بالأشعة المجهولة لمريضة مصابة بضلع عنقية فأطلعنى على هذه الصورة وغيرها من الصور التى توضح العامود الفقرى لهذه المريضة من أعلاه إلى أسفله ، وشرح لى حالة المريضة . ولقد تفضل فأرانى قسم جراحة التشوهات ، وانتهى بنا المسير إلى غرفة عمليات فيها مدرج (امفتياترو) للطلبة يتلقون عليه الدروس وإلى ناحية من المدرج سبورة للكتابة عليها فى إطار من المعدن المدهون

بالطلاء الأبيض . فلما دخلنا في هذه الغرفة وجدنا الطلبة جالسين على المدرج . فأعطاني كرسيًا وأشار إلي بالجلوس ففهمت أن عليه درسًا . وكانت المريضة المصابة بالضلع العنقية حاضرة . ورأيت أحد المساعدين وقد وقف يتلو على الطلبة في حضرة الاستاذ فيدوفا ما نسميه نحن الأطباء بورقة المشاهدة ، وهي ورقة يكتب فيها اسم المريض ، وعمره ، وصناعته ، ومحل إقامته ، وجنسيته ، وتاريخ مرضه ، والأعراض التي يشكو منها ، والعلامات التي تشاهد عليه ، ونتيجة الفحص ، وكذلك يدون فيها سير المرض . فتلا أربع صفحات كبيرة . ثم أخذ الاستاذ بعد أن انتهى المساعد من تلاوة المشاهدة في شرح الضلع العنقية شرحًا وافيًا . وعرض عليهم صور الأشعة التي أطلعني عليها سابقًا . والضلع العنقية التي كانت موضوع الدرس من التشوهات الخلقية التي قد تشاهد في سن البلوغ ، وهي ضلع تنشأ من التواء المستعرض للفقرة العنقية السابعة ، وهما غالبًا ضلعان في كل جانب ضلع ، وتكون الضلع غضروفية أولًا ، ثم تصير عظمية بتقدم السن . وقد تكون قصيرة بطرف سائب في العنق ، وقد تمتد حتى تصل الى عظم القص . وقاما يعرف هذا التشوه إلا إذا أحدث ضغطًا على الشريان تحت الترقوة وبعض فروع الضفيرة العصبية العضدية . وليس يهمل أيها القارئ أن تعرف ما يجب على الأطباء أن يعرفوه عن هذا الموضوع ؛ لكن المهم أن تعرف أن الاستاذ كان يلقي درسه على الطلبة في تودة ورزانة وفي توسع وتبسط ولم يأل جهدًا في تفهيمهم الموضوع بكل حيلة ووسيلة مع أن الدرس كان عن مرض من الأمراض النادرة التي قاما يعني بها الأساتذة أو الطلبة عندنا . لقد كان درسه باللغة الإيطالية وأنا لا أفهمها مطلقًا ولكن يخيل لي أنه ذكر لهم كل ما أعرفه عن هذا المرض .

ولست ابالغ اذا قلت انى عرفت أشياء لم اكن أعرفها من قبل مما جعلنى أستحضر فى ذهنى ما كره على من سؤا الف الأيام وأتمثل ما مر بى من الدروس التى تلقيتها وأنا بمدرسة الطب المصرية لأقابل بين الحالة التى كنا عليها والحالة التى رأيتها فوجدت أن الفرق عظيم بيننا وبينهم . ولقد غبطت هؤلاء الطلبة وقلت فى نفسى : ألا ليت التلمذة تعود يوماً فأقضيها فى مثل هذه الجامعة متلقياً الدروس على مثل هذا الاستاذ الذى يكده ويجد لتثقيف عقول طلبته . ولم يكده ينتهى من الدرس حتى حان موعد العمليات التى عملها بكل دقة ومهارة مبتدئاً بعملية الضلع العنقية التى استأصلها . وخرجت بعد انتهاء العمليات متحسراً على مصرقائنا لنفسى أمدرسة طبية واحدة فى مصر من أولها إلى آخرها ولا يكون التعليم فيها راقياً رقيه فى أصغر الجامعات . وما أظن من الممكن النهوض بهذه المدرسة إلا إذا تعددت المدارس الطبية فى مصر وأخذت تتنافس والا اذا توفر الأساتذة على التدريس وانصرفوا اليه بكل همهم وحظر عليهم ممارسة الطب فى الخارج . وقاما يتيسر ذلك إلا إذا زيدت مراتبهم زيادة تحفظ كرامتهم وتجعل عيشتهم واسعة طيبة . ويصح أن يسمح لهم بممارسة الفن فى الخارج مستشارين يستشيرهم الأطباء المعالجون مهتدين بخبرتهم وتجاربهم تغير الطب فى الزمن الأخير تغيراً محسوساً فبعد ان كان الطبيب فى الزمن السالف يداوى الأمراض الباطنية ، ويعمل العمليات الجراحية ، ويعالج الأمراض الجلدية والزهرية والرمدية ، ويولد الوالدات ، ويتعهد الأولاد ويطبب النساء فى أمراضهن صار لا يحسن إلا فرعاً من فروع الطب ؛ فهو إما طبيب للأمراض الباطنية أو جراح أو رمدى أو مولد أو طبيب أمراض نساء أو طبيب أطفال . وجدت فروع أخرى تقتضى انصراف بعض الأطباء لها كالتخدير

وأعمال الأشعة المجهولة والأعمال البكتريولوجية والباثولوجية . هذا إلى الأطباء الذين يجب أن ينصرفوا إلى المسائل الصحية العامة ، وإلى الطب الشرعى . وهذا كله مما يقتضى زيادة عدد الأطباء زيادة عظيمة . لقد كان للاصلاح الصحى فى خطبة العرش نصيب عظيم وما أظن أن من الممكن القيام بهذا الاصلاح إلا اذا أنشأنا المدارس الطبية التى تخرج الأطباء الذين عليهم عماد هذا الاصلاح ونهضنا بمستوى التعليم فى هذه المدارس . فالبلد فى حاجة الى مستشفيات كثيرة . والبلد فى حاجة الى عدد كبير من الأطباء ليكون فى كل قرية طبيب لا فى كل مركز طبيب ، لأن من العار أن نعتد فى مسائلنا الصحية الطبية على حلاقى الصحة فى الوقت الذى فرغ فيه القوم فى البلاد الراقية من النظر فى مقاومة أغلب الأمراض ومكافحتها ، وأخذوا يهتمون بالعوارض كحوادث السيارات وحوادث المصانع ، وأصبحوا يعتقدون بعد أن خفت وطأة الأمراض المعدية عندهم أن المدينة التى تكون نسبة الوفيات فيها من حوادث السيارات معادلة لنسبة وفيات الدفتريا مثلاً لا تؤمن السكنى فيها مما جعلهم يبذلون جهدهم فى تقليل الحوادث والعوارض كما فعلوا فى تقليل الأمراض . ولا ريب أنهم وصلوا الى هذا الحد من الرقى بفضل كثرة عدد المدارس الطبية أولاً وبفضل كثرة عدد الأطباء ثانياً فهل نحن بهم متشبهون؟



(٢٠)

التخدير

وذهبت في دفعة أخرى وأنا برومة الى مستشفى سان جيا كومو لمشاهدة العمليات التي قام بعملها الأستاذ اجيدى . وكان قد أعلن لنا أنه سيعرض علينا طريقته في التخدير بالإيثير . ووصلت إلى المستشفى قبل حضور الأستاذ فانتظرت في المدخل . ولما حضر عرفته بنفسى فسلم على مرحباً . ولم يذهب إلى المستشفى في هذا اليوم من المؤتمرين غيرى فانفردت لحسن حظى بالأستاذ وانفرد هو بى فاطمنى على المستشفى فاذا هو ببناء قديم وفيه نحو مائة وخمسين سريراً وانتهى بنا الطواف إلى غرفة العمليات فرأيت فيها الجهاز الجميل الذى يستعمله لتخدير المرضى وهو يدار بمحرك كهربائى وينفع أيضاً في الوقت نفسه ليزل السوائل من تجاويف الجسم ولص ما عسى أن يتجمع في الحلق من المواد المخاطية في أثناء التخدير . ثم أخذ في عمل العمليات بعد تخدير المرضى بطريقته وكانت العملية الأولى فتقاً في البطن ، والثانية قرحة معوية عمل فيها وصلاً معدياً معوياً ، والثالثة حملاً بوقياً خارج الرحم فاستأصله ، والرابعة ورمًا في الكلية اليسرى فاستأصلها ، أما العملية الخامسة فكانت استئصال ضلع بالتخدير الموضعى . وقد عمل هذه العمليات كلها بمهارة فائقة وحذق عظيم مما جعلنى أفهم سر امتلاء أسرة المستشفى بالمرضى بالرغم من قدمه وعدم نفاثته . وإنى وإن خرجت من المستشفى مغتبطاً بما رأيت وعلمت من الفوائد الطبية إلا أنه قد خامرنى الشك في صواب ما فعلت إذ ذهب المؤتمر

جميعاً في ناحية وذهبت وحدى في ناحية فكأنى خالفت الاجماع الذى كاد يكون مطلقاً ولذلك عزمتم أن أسأل كل من ألقاه من زملائى عما رأى فى المستشفى الذى ذهب إليه رجاء أن أدرك بعض ما فاتنى . فسألت زميلاً لى ونحن نتناول الغداء : إلى أى مستشفى ذهبت اليوم وماذا رأيت ؟ فقال : ذهبت إلى البوليكلينيك لمشاهدة الأستاذ اسكندر (Prof. Alessandri) وقد استأصل الطحال فى عملية ، واستأصل الرحم لأورام فيبرومية فى عملية أخرى ، ووصل المعدة بالمعى لقرحة معدية فى المعدة ، واستأصل كيساً ديدانياً ، فى عملية رابعة ، واستأصل الكلى لاصابتها باستسقاء كلوى . فقلت : وهل من جديد فى ما رأيت ؟ وهل سررت من عمله ؟ فأجاب : أما الجديد فهو استعماله المركروكروم^(١) (Mercurochrome) لتطهير الجلد فى موضع العمليات ، وأما عمله فلم أتمكن من تتبع الخطوات جيداً لأن الزحام فى غرفة العمليات كان شديداً جداً لأن أغلب المؤتمرين كانوا فيها . فقلت : أما المركروكروم فكثيراً ما طالعت عنه فى المجلات والصحائف الطبية وأردت

(١) المركروكروم (٢٢٠) من المطهرات التى نالت شهرة عظيمة فى بلاد مختلفة مع أنه حديث العهد إذ جرب فى سنة ١٩١٩ . وقد وجد أنه مطهر عام كبير الفائدة وإذا استعمل فى محلول بنسبة ٢ فى المائة للجروح أو الأغشية المخاطية كان له تأثير مطهر قوى واستمر تأثيره مدة طويلة ولا يحدث منه التهاب موضعى قليل . وقد استعمل حقناً داخل الوريد فى محلول بنسبة ١ فى المائة بمقدار خمسة مليجرامات لكل كيلو من وزن الجسم وجرب لأغراض كثيرة بنتائج حميدة فى بعضها . وقد ذكر بعضهم أخيراً أنه جربه فى ٦٨٠ حالة . منها ١٧٣ حالة تسمم دموى شفى منها ٦٣ . وقد ذكرت له نتائج حميدة فى الجذام وفى الجفرة الحبيثة وفى الماريا وقد جرب أيضاً فى التهاب الدماغى الحاد فأتى بفائدة . وهو مادة قوية قد يطرأ عنها بعض عوارض كالتهاب القولونى من تأثير الزئبق فى الأمعاء . وكالتهاب الكلى بعد حقنه داخل الوريد . وبعضهم ينكر هذه المضاعفة لو أحسن استعماله

تجربته لكن مخازن الأدوية عندنا لا تستورد الحديث إلا إذا أصبح قديماً .
وأما الزحام الشديد فقاعدة مطردة في روح الاجتماع لأنك كثيراً ما ترى
الجموع أو الجماعات تساق إلى عمل تسوقها اليه كلمة أو إشارة من زعيم أو شبه
زعيم فإذا خلت الأفراد إلى نفسها وفكرت في ما عملت استنكرته استنكاراً عظيماً
واستغربت العمل لأنه كان بغير تدبر وتبصر . وضربت له مثلاً بأئمة لليونادة
بالسيفون على ناصية طريق لا يبعد الواحد عن الآخر أكثر من خمسة أمتار
فقد كنت ألاحظ الزحام على أحدهما فلا يستطيع الإنسان أن يتناول القدر
من الشراب إلا بعد أن ينتظر طويلاً ريثما يأتي دوره بينما ترى الآخر واقفاً
لا عمل له من الكساد . ولقد حاولت أن أجِد سبباً أبرره إقبال الناس على
أحدهما ونفورهم من الآخر فلم استطع فاجتزأت بالقاعدة الاجتماعية التي ذكرتها
لك . وفيما أنا أتمس مناسبة استطردها منها إلى الكلام في التخدير إذا به يسأل :
إلى أي مستشفى ذهبت فاني لم أرك معنا ؟ فكدت أقول له « عمرك أطول
من عمري » وهي الكلمة التي يقولها الإنسان مازحاً لمحاورة إذا سبقه بالكلام
الذي يريد أن يقوله ولكنني أجبت : ذهبت إلى مستشفى سان جيا كومو
للاطلاع على طريقة الأستاذ اجيدى للتخدير بالإثير . ذلك لأنني منذ ما سمعت
جراحاً إنكليزياً كبيراً يقول في الجمعية الطبية البريطانية التي انعقدت في
بورنسموث في سنة ١٩٢٣ ما معناه أنه لا يفهم عقلية ذلك الجراح الذي يسمح
بتخدير مريضه بالكلورفورم إذا كانت عملياته تستغرق زمناً طويلاً ولا سيما
إذا كان المريض مصحوباً بنقيح مزمن وأنا أريد أن أخلص من استعمال هذا
المخدر إن استطعت إلى ذلك سبيلاً . ويكاد يس قول هذا الجراح الإنكليزي
جميع الجراحين المصريين وأنا أولهم لأنني كنت يومئذ أشدهم ولاءاً للكلورفورم

فقال لى الزميل مستغرباً هل الكلوروفورم شائع إلى هذا الحد فى مصر؟
فقلت نعم ، لكن البعض يستعمل التخدير الشوكى بالاستوفائين للعمليات
التي هى أسفل السرة وقد حدثت حذوهم منذ ما عرفت هذا الرأى . فقال
ألا تعلم أن اللجنة الفرعية للتخدير من الجمعية الطبية الأمريكية قد قررت
عدم استعمال الكلوروفورم إلا لاستدراج المدمنين على الشرب للتخدير وإلا
لأحوال الولادة العسرة وذلك منذ سنة ١٩١٢؟ ويخيل لى أنى قرأت ما يفيد أن
مستشفى مايو (Mayo Clinic) قد استعمل التخدير فى أكثر من ١٧٠٠٠
حالة فى سنة ١٩٢٣ بغير أن يضطر للتخدير بالكلوروفورم دفعة واحدة أما نحن
فقد نحونا نحوهم وأصبحنا الآن لا نستعمل الكلوروفورم إلا نادراً وإذا استعملناه
لا نستعمله صرفاً بل ممزوجاً بغيره كالإثير والكثول . والسبب فى عدولنا
عنه ما يحدث عنه من الخطر أحياناً بوقف التنفس أو بهبوط الضغط الدموى
أو بتأثيره السام المتأخر أو بالاعماء . وانتهى الكلام بانتهاء الطعام . وصدق
من قال : اثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال لأنى جلست فى السهرة
مع زميل أمريكى أتجاذب معه أطراف الحديث فانتقلت به إلى موضوع
التخدير فاستفدت أشياء يصح أن أطرحها لحضرات القراء أمانى نعلل النفس
ببلوغها فقد قال :

إن للتخدير شأنًا عظيمًا فى سمعة المستشفيات بدليل ما يسمعه الانسان
كثيراً من المرضى إذ يقول الواحد منهم « خائف يا دكتور من البنج » ولذلك
أصبح فرعاً مخصوصاً من الطب يتوفر عليه بعض الأطباء كما يتوفر البعض
على فروع أخرى . ويجب أن يكون له فى مدارس الطب أساتذة يتلقى عليهم
الطلبة فن التخدير لكي يحذقوه . وليس يؤمن أن يعهد بالتخدير إلى طبيب

أو صيدلى أو طيبة أو باشمورجى ممن لا يتجاوز التخدير فى نظرهم سوى تقطير المخدر شيئاً فشيئاً حتى يسكن المريض ، ثم ينقطع عن التقطير حتى يتحرك المريض أو يتأوه فيعود إلى التقطير حتى يسكن وهكذا حتى تنتهى العملية بين حركة وسكون وبقظة ونوم . وكان يكون ذلك محتملاً لو بقيت الجراحة على عهدى القديم لا تتجاوز فتح خراج أو استئصال ورم صغير من سطح الجسم أو استخراج حصة أورمة عظمية . أما الآن فقد تقدمت الجراحة تقدماً عظيماً يقتضى أن يقوم بالتخدير فى كل مستشفى وفى كل عيادة خصوصية طبيب متوفر على التخدير أو أكثر يفحص المريض قبل أن وان العملية فحماً كاملاً ليعرف أى نوع يناسبه وأى طريقة من التخدير أوفق ويعطى المريض فى وقت العملية المخدر المناسب بالطريقة المناسبة موجهاً همه لملاحظة المريض ملاحظة شديدة مستعيناً على ذلك بتسجيل الضغط الدموى فى أثناء العملية ثم هو بعد انتهاء العملية يراقب المريض متعاوناً فى كل هذه الأدوار مع الجراح تعاوناً دقيقاً ضرورياً لسلامة المريض .

وحسبك دليلاً على ضرورة هذا النظام أن تعرف كيف يصعب على الجراح مهما كان حاذقاً ماهراً وسريعاً فى عمله أن يعمل عملية لمريض فى بطنه إذا تولى التخدير طبيب غير متوفر على التخدير فانك وقتئذ كثيراً ما ترى الجراح ينقطع عن عمله فى أثناء العملية محاولاً هو ومساعدده صد الأمعاء ومنعها من الخروج من الجرح المرة بعد الأخرى . فإذا جاء وقت خياطة الجرح رأيت كل غرزة يضعها فى البريتون وهى تتمزق الغرزة بعد الأخرى مما يكاد يخرجها عن صوابه ومما يزيد فى خطر العملية ويؤثر فى المريض تأثيراً شديداً قد يقضى عليه . لذلك نحن نحاول فى أمريكا أن نجعل فى كل مستشفى قسمًا

خاصاً بالتخدير يقوم بالعمل فيه طيب أو أكثر حسب حالة العمل . فقلت له :
يخيل الى أن خطر التخدير في بلادكم أقل من خطر عبور الشارع المزدحم فقال :
هذا صحيح . فقلت : لا بد أن تشبه بكم ! ولعل أفضل طريقة أن يعنى أولو
الشأن عندنا بارسال بعض الأطباء الى البلاد المختلفة لدرس فن التخدير درساً
وافياً حتى إذا عادوا إلينا عادوا بالخير العظيم . وههنا انتهت السهرة فاستأذنت
منصرفاً قائلاً لزميلي : ليلة سعيدة . وكان يصح أن أقول له لو كان يفهم اللغة
العربية أفادكم الله ونفعنا بعلومكم

(٢١)

بمبائي وفيزوق

اشترك بعض أعضاء المؤتمر في رحلة ثانية تبتدىء بعد انتهائه . وكنت
فيها من المشتركين . واختلفت هذه الرحلة عن سابقتها بخلوها من الفوائد
الطبية فلم تقابل أحداً من الجراحين ولم تزر المستشفيات . فغادرنا روما في
صباح يوم ١٣ ابريل بعد ما لقينا فيها من آيات الترحيب ما دل على كرم
الجراحين الايطاليين بل ما دل على كرم ايطاليا كلها ، فقد كانت كلمة المؤتمر
أو القافلة كالسحر تأثيراً إذا ذكرها الانسان مهده له الطريق وفتحت له
الأبواب وقضيت له حوائجه مما يتجاوز حدود الشكر . وبعد ان رأينا فيها من
علامات النشاط الطبي والتقدم العلمى ما يدل على أن ايطاليا ناهضة قد قطعت
من طريق النهوض شوطاً عظيماً . وكانت وجهتنا نابولي فوصلنا اليها بعد
الظهر . ولم نكد نستريح من وعشاء السفر حتى قمنا في مساء اليوم نفسه لزيارة

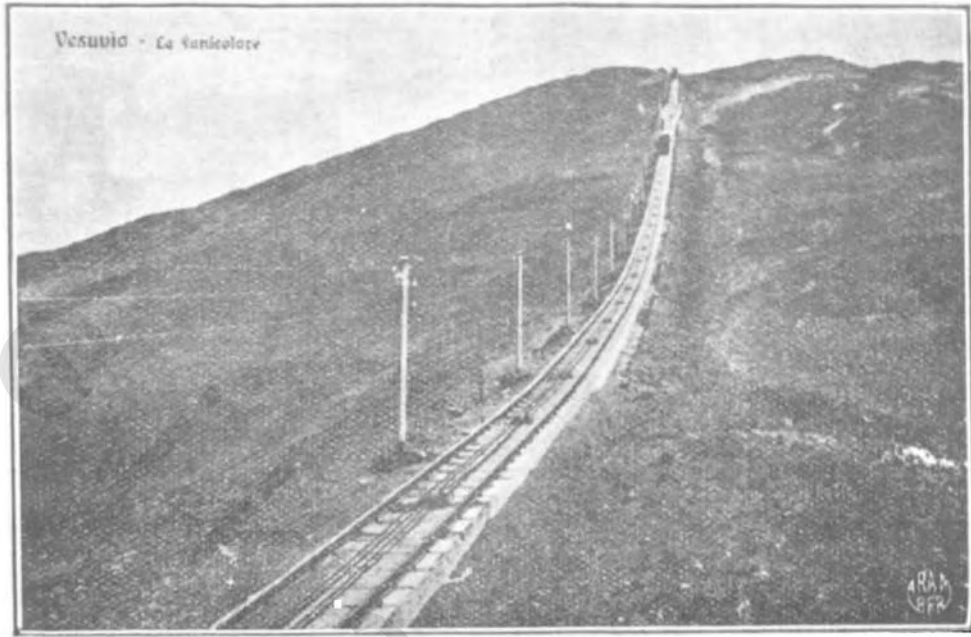
الآثار المختلفة وموضع تربية الأسماك . ونابولي مدينة مشهورة بجبالها إذ يمتد جزء عظيم منها على الشاطئ على شكل مدرج يرتفع شيئاً فشيئاً فترى كل صف من البيوت أو القصور يعلو عن الذي قبله ، وبذلك يشرف كل الصفوف على البحر تتلقى منه هواءه العليل ومنظره الجميل

وفي صباح اليوم التالي ذهبنا بالقطار الى بوليانو (Pugliano) ومنها ركبنا الترام الصاعد (Chemin de fer à crémaillère) حتى قمة القرقوس فيزوف .

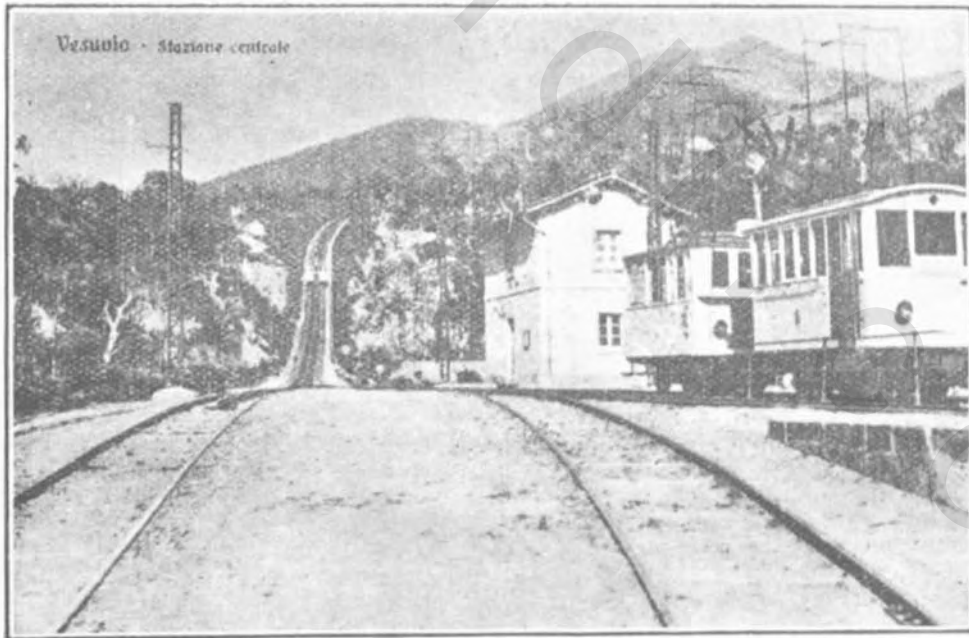


(٩٤) خط الترام الصاعد من بوليانو الى فوهة البركان

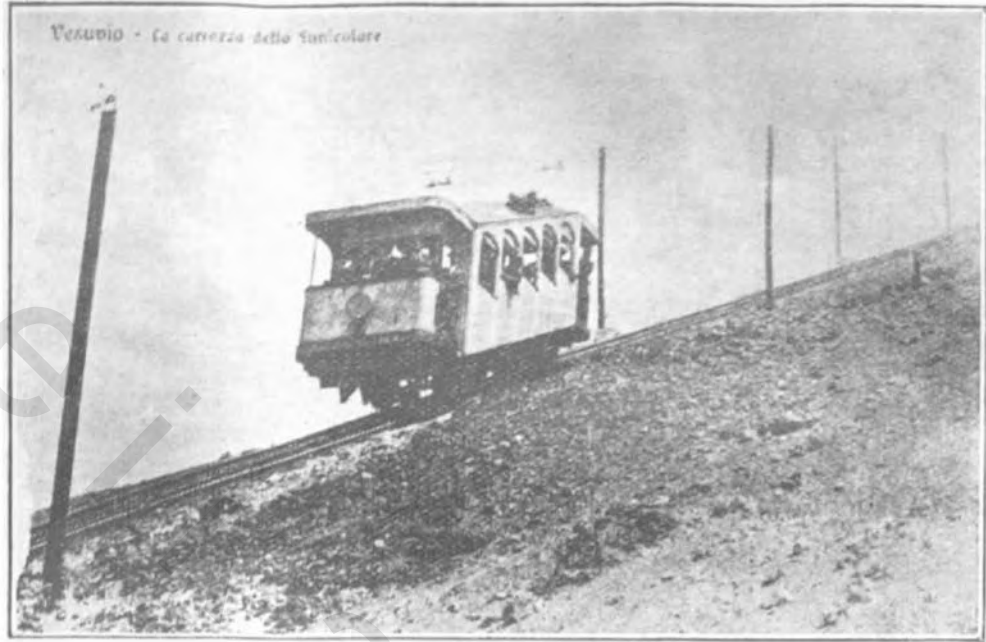
والقرقوس على ما جاء في لسان العرب « القاع الأملس الغليظ الأجرد الذي ليس عليه شيء وربما نبع فيه ماء ولكنه محترق خبيث إنما هو مثل قطعة من النار ويكون مرتفعاً وطمئناً وهي أرض مسحورة خبيثة ومن سجرها أيبس الله نبتها ومنعه » ولعل هذا الوصف أقرب الأشياء الى ما يسمى الآن البركان أو جبل النار كفيزوف الذي نحن بصددده . ومن وصل الى قمته كما وصلنا فشاهد الدخان وهو يتصاعد من فوهته تصاعداً غير منقطع ؛ يشهد من وقت لآخر فيسمع له دوى شديد كالرعد أو أشد ، ويخرج منه لسان من اللهب — أقول من وصل الى قمته وشاهد ذلك أو شك أن يجارى الأقدمين في معتقدهم أنها أرض مسحورة خبيثة ولو كان عالماً بطبقات الأرض وطبائعها .



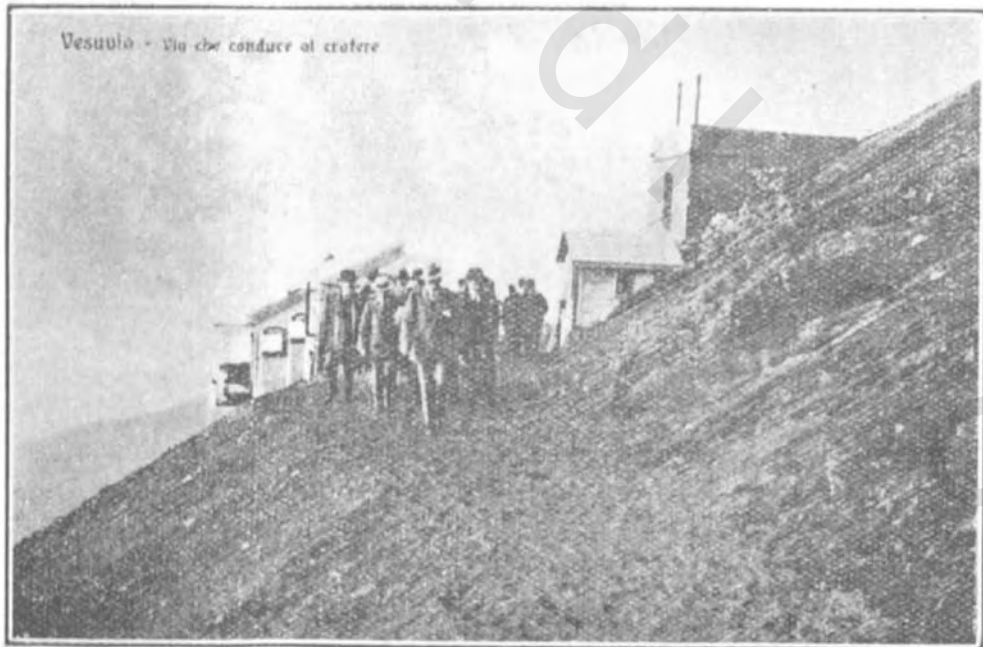
(٤٥) السكة الحديدية للترام الصاعد لفوهة البركان



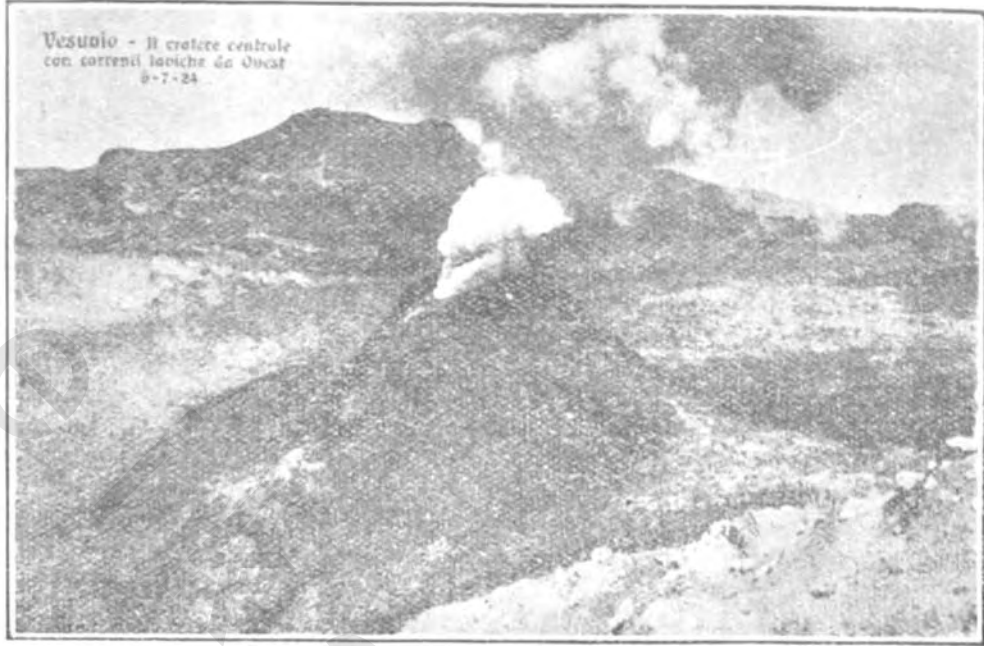
(٤٦) المحطة المركزية للترام الصاعد



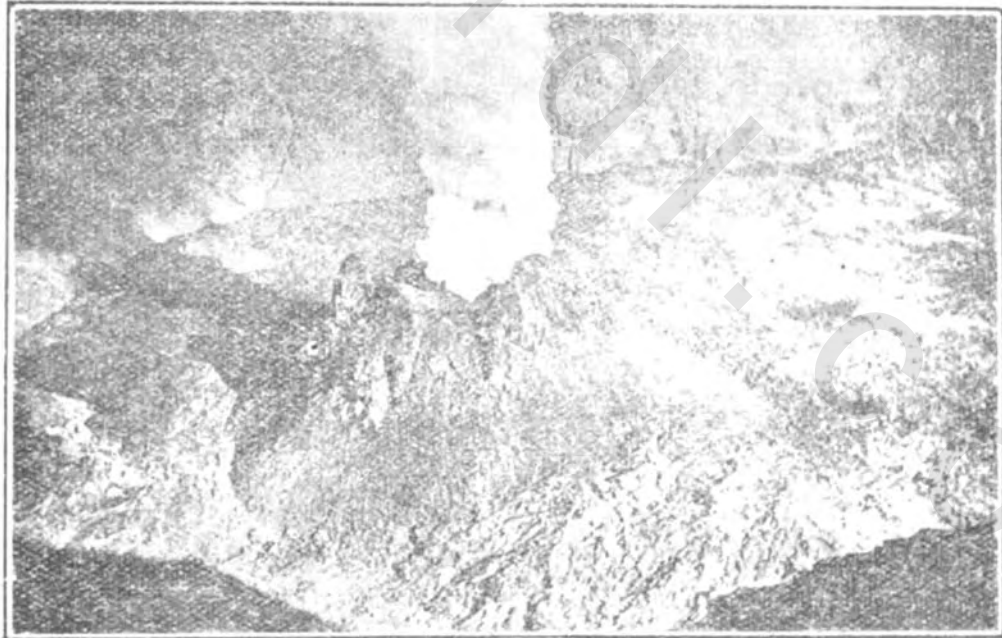
(٤٧) عربة الترام الصاعد



(٤٨) الطريق الموصل لفوهة البركان



(٤٩) فوهة البركان واللهب يتصاعد منها



(٥٠) منظر آخر لفوهة البركان واللهب يتصاعد منها

وفيما نحن واقفون نشاهد هذا المنظر في دهشة وذهول التفت إلى رفيق
وقلت له مازحاً : لو كان جبل النار هذا في بلادنا لعرفنا كيف نستخدم هذا
اللهب لأغراض شتى . وكأنه لم يفتن إلى أنى أقول الهزل في قالب الجد
فأجاب : عندنا في بلادنا وهي اسلندة (Iceland) ينابيع حارة قد استخدمنا
ماءها الساخن لتدفئة بعض البيوت المجاورة بنقله في مواسير . فخبلت من أن
أصارحه بالحقيقة من أن في بلادنا قوى طبيعية كالتي في شلالات اسوان
وغيرها ولم نفكر في استثمارها . وحمدت الله على جهل هذا الزميل بمصر وعزمت
الآأعود في كلامي مع زملائي إلى أسلوب الهزل الجدى أو الجد الهزلى مخافة
أن ينكشف الأمر فأكون من الهازلين . وتناولنا الغداء في فندق على الجبل
في طريقنا إلى القمة . وذهبنا بعد الغداء لمشاهدة آثار بمبييه
وبمبييه كانت مدينة جميلة في حيازة خليج نابولى يسكنها الأغنياء



(٥١) صريع من صرعى النسف وجد تحت الردم في بمبييه

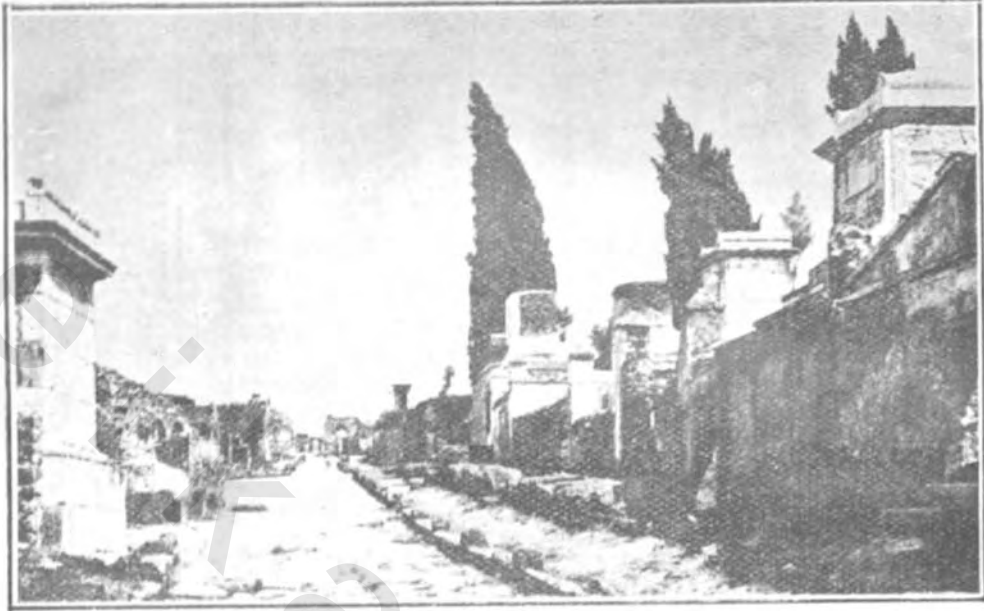
والأشراف وذو الوجاهة ممن يعبر عنهم بالارستوقراطيين فزلزلت أرضها زلزلة
عنيفة في سنة ٦٣ ميلادية جعلت عاليها سافلها وخربت بيوتها وقصورها

ومبانيها . ولم يكد القوم يفرغون من تعمير ما خرب وتشيد ما هدم حتى نسفها فيزوف في سنة ٧٩ ميلادية . نسفها بما أخرجها من باطنه من الدخان والرماد والحجارة وأرسلها على المدينة كسفاً عظيمة غطتها ثم ردمتها بمن فيها من السكان فاخفت معالمها وأصبحت كأنها لم تكن وكأن أهلها لم يغبوا فيها بالأمس . واستمرت الحال على هذا المنوال الى منتصف القرن الثامن عشر إذ عثر بعض القوم على بعض الآثار ثم أخذوا يكشفون عن هذه المدينة غطاءها من الردم الى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن . ولقد أخذ المطوف أو المرشد يطلعنا على شوارع المدينة وبيوتها وقصورها وحماماتها العمومية ومراسح التمثيل وغير ذلك . فأما الشوارع فكلها مستقيمة ، ومنها ما عرضه ٢٤ قدماً ومنها ما عرضه ١٤ قدماً ، جميعها مبلطة بلاطاً متيناً . وأما البيوت

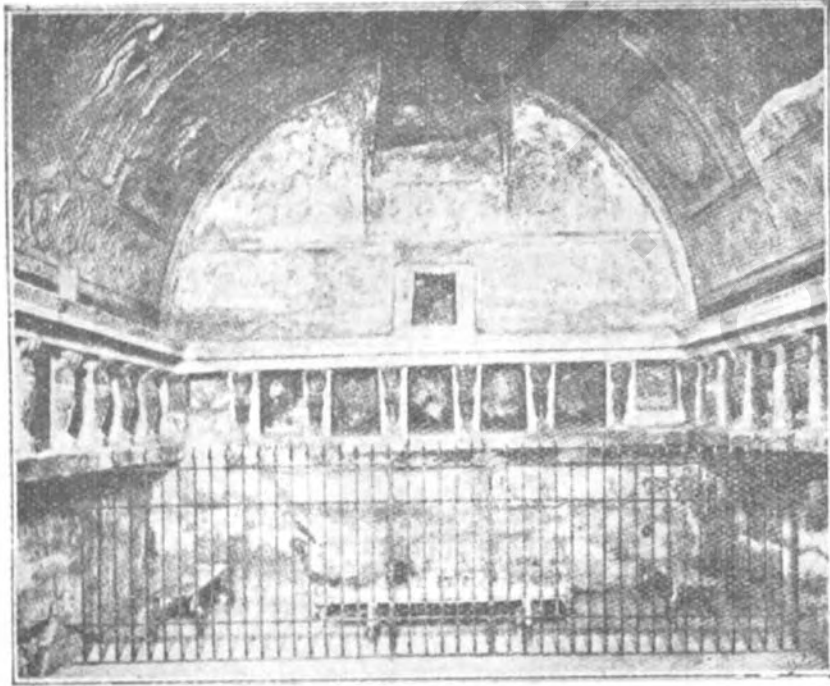


(٥٢) بيت جراح في بامبييه

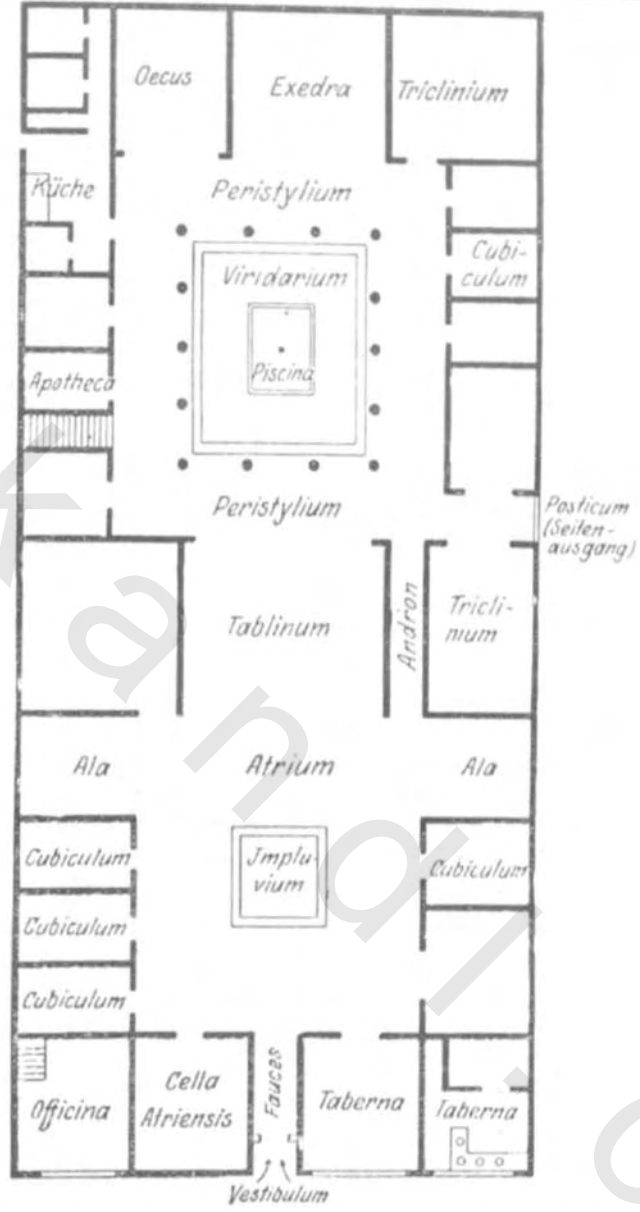
والقصور فيكاد يكون أغلبها على نسق واحد في الشكل والترتيب حتى لقد تجد هذا الشكل موضعاً في كتب السياحة الخاصة ببمبييه مما جعلني أتساءل هل كان لأوائك القوم قانون صحي يحتم عليهم البناء على نسق واحد فان صح زعمي وكان لهم قانون فقد وصل القوم وهم في القرن الأول إلى درجة من الرقي الصحي لم نصل إليها ونحن في القرن العشرين . أما الحمامات العمومية وكثرتها والمراسح



(٥٣) شارع المقابر في بمبييه كما يرى من الغرب الى الشرق

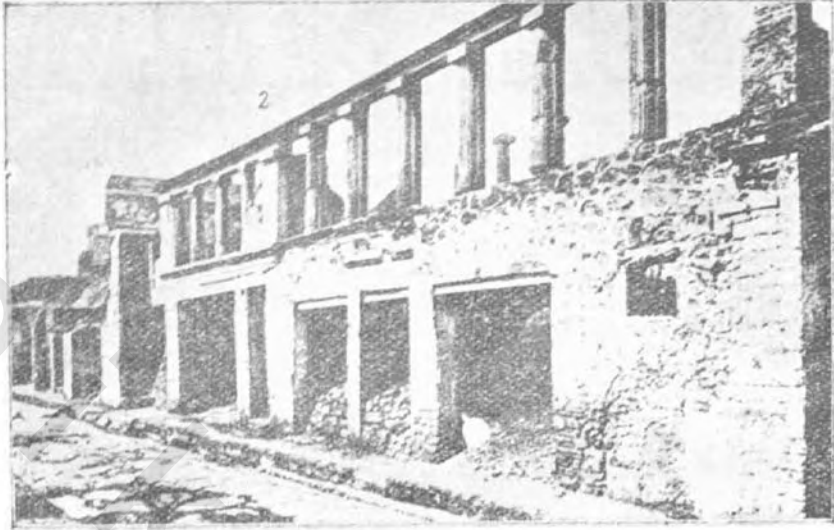


(٥٤) حمام من حمامات بمبييه

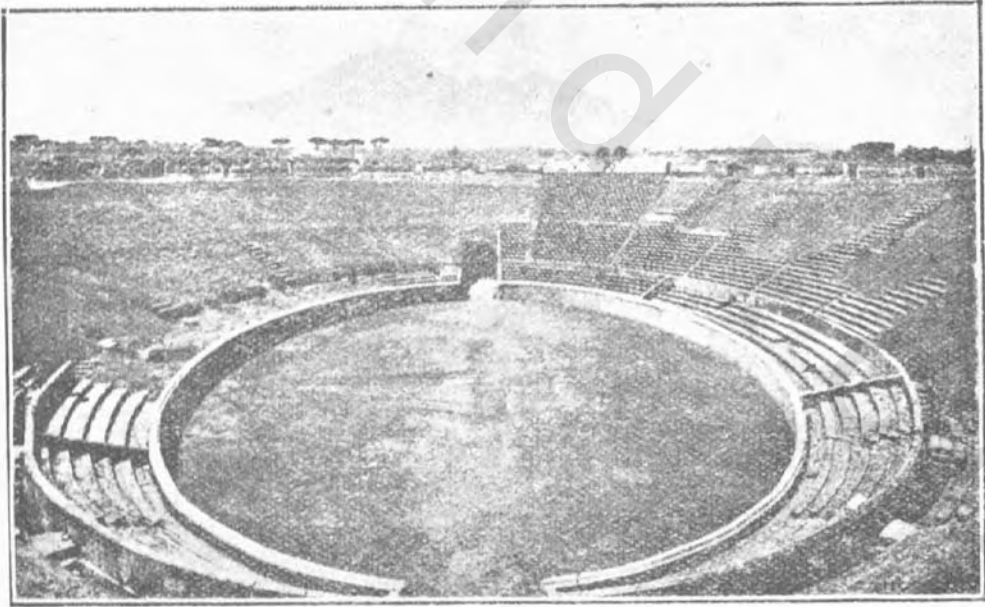


Normal groundplan of a Pompeian house (From: G. Calza, Ostia)

(٥٥) الرسم الأرضي لبيت من بيوت بومبييه



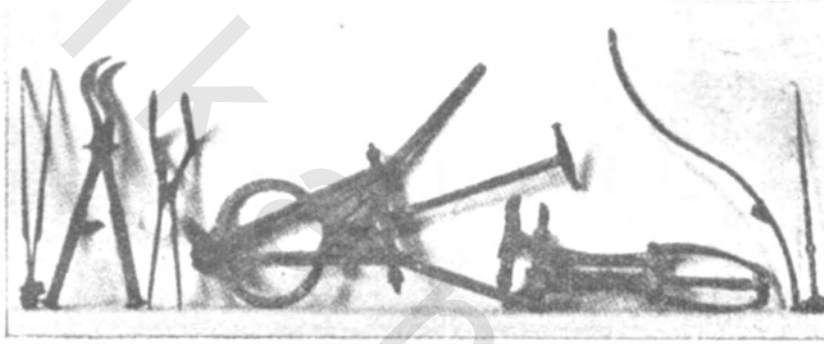
(٥٦) صف من البيوت في بمبييه



(٥٧) المسرح أو الملهى الكبير الذى فى بمبييه

فهي دليل على الترف والانغماس في الشهوات والممذات .

ومما رأيناه غرفة مقفلة لما وصلنا إليها قال لنا المطوف : سيداتي وسادتي، هذه الغرفة لا يدخلها إلا الرجال. وأوحى إلى الخادم الذي معه المفتاح ففتحها ودخلها الرجال منا وبقيت السيدات في الخارج . وأغلق الباب علينا بعد الدخول فرأينا فيها ما لا يصح أن تراه السيدات وما لا يصح أن أذكره للقراء فذكرني بقوله تعالى : وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها



(٥٨) آلات الجراحة التي كان يستعملها الجراح في بمبويه

القول فدمرناها تدميراً . والمراد بقوله تعالى « أردنا » الدنو والمشاركة نحو قولهم إذا أراد المريض أن يموت زاد مرضه شدة وإذا أراد التاجر أن يفقر أتاه الخسران من كل ناحية ، فلا المريض يريد أن يموت ولا التاجر يريد أن يفقر ؛ ولكن المعنى هو إذا دنا المريض أن يموت وإذا دنا التاجر أن يفقر . وأمرنا مترفيها بمعنى أكثرنا مترفيها . وخرجت أسائل نفسي أيقنصر التدمير على ما يلحق المدن والقرى بمثل هذه العوامل الطبيعية أي بالثورات البركانية والهزات الأرضية أو بالعوامل الانسانية كقنابل المدافع والطائرات في أثناء غضبات الانسان البهيمية ، أم هو يشمل التأخر الأدبي والانحطاط العلمي

وما إلى ذلك مما ينشأ عن الترف والاتعاس في الشهوات؟ فان اقتصر التدمير على النوع الأول فما أصدق الحديث . « لولا شيوخ دكع وأطفال رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صباً »

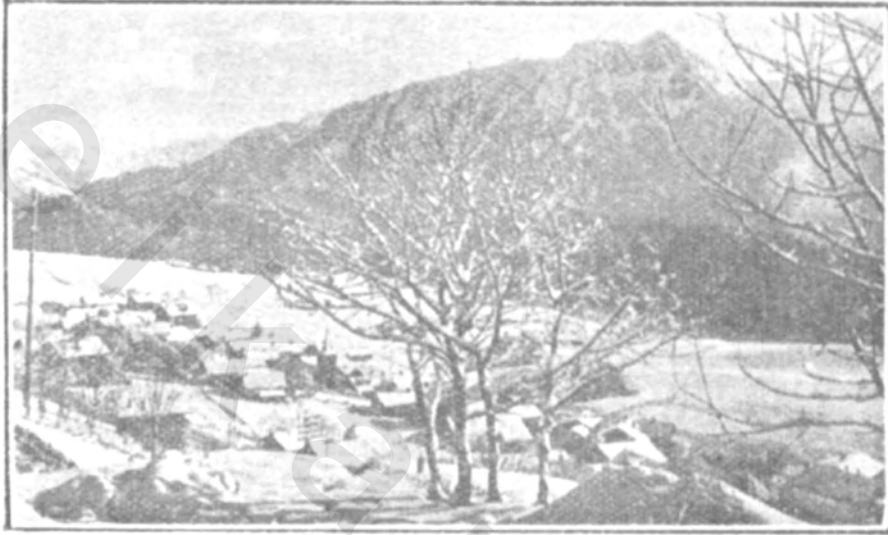
وفي اليوم الخامس عشر ذهبنا لزيارة جزيرة كابري (Capri) وهي تبعد عن نابولي نحو ساعتين سافراً بالرفاص . وهي جزيرة خفيفة الروح تصلح السكنى فيها صيفاً وشتاء . وعامت من زميل سويدي أن لصاحبة الجلالة ملكة السويد فيها قصرًا فخماً تسكنه في فصل الشتاء . وفي أثناء ذهابنا إلى الجزيرة نقلتنا قوارب صغيرة جداً لمشاهدة الكهف الأزرق . ولخوفي من الإطالة إذا وصفت هذا الكهف الأزرق البديع فضلت أن أترك القارئ الكريم على مضض الشوق لرؤيته وما رآه كمن سمع

(٢٢)

المخرج السماوى

عقدت النية منذ ما اعتزمت السفر لحضور المؤتمر على أن أذهب إلى ليزان (Leysin) بسويسرة لزيارة مصحات الاستاذ روليه الذى طبقت شهرته الآفاق وجرى لطريقته في علاج سل العظام والمفاصل صيت عظيم . وكنت قد كاتبته وأنا بروما مستأذناً في هذه الزيارة . وعلى ذلك سافرت في اليوم السادس عشر من ابريل من نابولي الى روما فيلانو ونزلت في مونترية على أن أقوم مبكراً كل يوم للسفر إلى ايجل ومنها إلى ليزان فوصلت إليها في صباح ١٨ ابريل وتوجهت تَوّاً إلى المصححة التى تسمى (Les Frènes)

وقد مت بطاقتي فحضر إلى مساعد الاستاذ وقال لى إن الاستاذ بانتظارك وسار بى إليه وقدمنى إليه فصاحنى مرحباً مصافحة علمت منها أنه اطلع على ذات نفسى وعرف أن أذننى عشقته قبل عيني ووجدته واقفاً وسط نصف حلقة من الأطباء الحاضرين من بلاد مختلفة لزيارته . وكان يعرض عليهم



(٥٩) منظر من مناظر ليزان

صوراً مأخوذة بالأشعة المجهرية تبين حالة المرض قبل العلاج ، وفى أثناءه ، وبعد الشفاء . فأراني الصور القليلة التى عرضها عليهم وأخذ يعرض علينا صوراً أخرى كثيرة مثلها حتى آمنا جميعاً بفائدة طريقته فى العلاج بالشمس لأننا رأينا كيف كان تلف العظام فى كثير من الأحوال شديداً وكيف كان التشوه فى المفاصل عظيماً فأصلح العلاج التلف وقوم التشوه . ولما انتهى من عرض الصور علينا خرجنا من هذه المصحة وسار بنا إلى غيرها . وساعدنى الحظ فرافقته فى الطريق فخرى بيننا الحديث الآتى :

سأل الاستاذ : أنت من مصر التى دعت الاستاذ برناند لتعيينه مديراً

لمصحة جديدة ؟

فأجبت : نعم ، ومن الوزارة التابعة لها المصلحة المزمع انشاؤها
فقال : يظهر أنكم تريدون أن تجعلوا هذه المصلحة لعلاج السل الرئوى
فقلت : نعم وكان غرضى أن نجعلها لعلاج السل الجراحى أيضاً
فقال : وأيهما أكثر انتشاراً فى مصر ؟
فقلت : إن السل الجراحى يكاد يكون كثير الانتشار فى مصر كالسل
الرئوى على ما أعتقد

فقال : وفى أى موضع تنوون إقامة المصلحة ؟
فقلت : فى حلوان وهى مشقة جميل مشهور
فسأل : وهل تصلح الإقامة فى حلوان فى الصيف ؟
فأجبت : إن رأى السائد بين الأطباء عندنا هو أنها لا تصلح لسكنى
المساولين فيها فى زمن الصيف وذلك لشدة الحر فيها
فقال : وكيف تعالجون هذه المشكلة ؟

فقلت : لقد كان رأى أن نجعل المصلحة للمصدورين بالسل الرئوى
والمصابين بالسل الجراحى لأننى لا أظن أن الحر يؤذى السل الجراحى كما
يؤذى السل الرئوى ولما رأيت أن اقتراحى لم يصادف قبولاً اقترحت على
ذوى الشأن تبريد غرف المرضى لا باقفال النوافذ والأبواب كما يفعل أهل
حلوان ولكن بطريقة أخرى كمواسير للتبريد . وهنا وصلنا إلى مصيحتي التى
تسمى (Le Chalet) فوقف واستوقفنى وانتظر ريثما وصل سائر الزملاء
فقال : هذا هو أول مشيف (مستشفى صغير) أسسته فى سنة ١٩٠٣ لأعالج
فيه الأمراض الجراحية المختلفة . وكنت قبل هذا التاريخ مساعداً للأستاذ
كوخر المشهور . ولقد لاحظت أن المرضى الذين كنت أعالجهم هنا تلتئم

جروحهم إلتاماً سريعاً متيناً فلا تندمل على فساد على غير ما كنت ألاحظه وأنا مساعد للاستاذ كوخرف كثيراً ما رأيت الجروح تغبر وتنتقض فيتخلف عنها نواسير مع العناية التامة . ولقد خطر لى أن أدعو من عرفتهم ممن تخلف عندهم نواسير إلى هنا فرأيت جروحهم تلتئم سريعاً بقليل من العناية وكان ذلك سر اهتدائي إلى العلاج بالشمس والهواء . وشرح لنا طريقته شرحاً وافياً وهو يمر بنا على المرضى . وكان منا ثلاثة كاطلبة المجتهدين يسألون الاستاذ مستفهمين ويناقشون مجادلين بالتي هي أحسن . وكان أولهم امريكى خفيف الروح متوفر على الأمراض الباطنية وعلم الأمراض ، أما ثانيهم فانكليزى كبير السن متوفر على جراحة الأطفال ، وثالث الثلاثة الفقير إلى الله عز شأنه كاتب هذه السطور . وكان اتفاقنا فى المناقشة والمجادلة جمع بيننا فأصبحنا على قرب التعارف متآلفين نتجاذب أطراف الحديث متفاهمين

ومما لاحظته وأبديته للزميل الأمريكى أن الاستاذ قد أدرك الغاية التى يرمى اليها أكثر الأطباء ولا يصل إليها إلا القليل منهم وهى رضى المرضى جميعاً . فأجاب : هذا صحيح فهم كأنهم فى بيوتهم وكأنه واحد منهم ولا ينقصهم شئ من وسائل الراحة فمنهم من يتلو كتاباً ومنهم من يتصفح مجلة أو يقرأ جريدة ، أما الأولاد منهم فعندهم بنات مختلفة وهى التماثيل الصغار التى يلعبون بها وكذلك عندهم دى متنوعة وألعاب للتسلية . وكلهم وهم مرضى تلوح عليهم علامات البشر والسرور . ووقتئذ مر بنا الاستاذ فى غرفة فامحنا فيها صبيغاً لا يعد أكثر من الرابعة أو الخامسة من العمر ؛ على وجهه شئ من الغبرة والكدورة فنحنأ نحوه الاستاذ سائلاً : ما بالك ؟ فرد عليه أحدنا مازحاً إنه عبوس الوجه لأنه خائف منا . فأجاب الاستاذ : وما أحرأه أن يتهلل وجهه

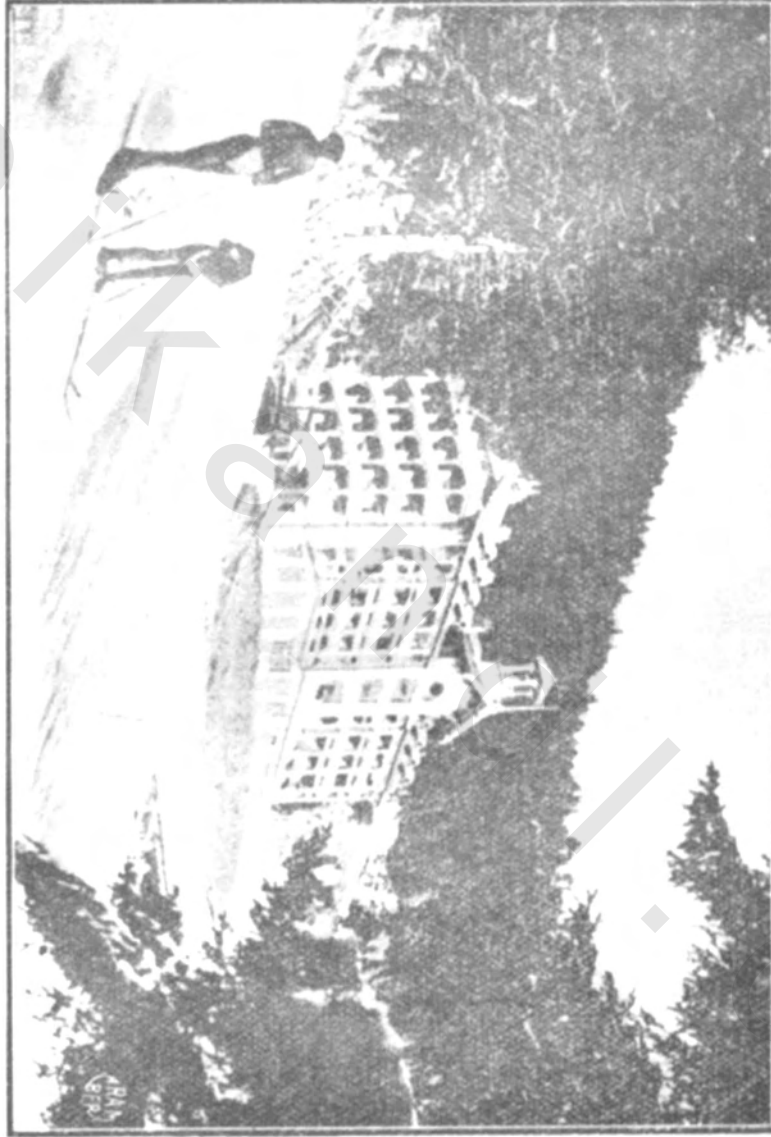
بشراً بكم وأنتم أطباء فرد عليه : إنه في غنى عنا ويرى فيكم الكفاية فضحكنا جميعاً وجاءني الأمريكي يسأل : ألا تعلم سبب عبوس هذا الصبي ؟ فقلت لا فقال : إذا قلت لك السبب أتعاهدني ألا تذكره لصاحبنا وأشار إلى الطبيب الانكليزي . فأجبت : لك على ذلك . فقال ضاحكاً : ألا ترى الراية الانكليزية التي على سريره ؟ فالتفت فإذا بين اللعب التي عنده راية انكليزية صغيرة كانت على سريره فقلت : ما أعمانى عن هذا السبب وما أجدرنى بمعرفته . وجاربه في الضحك وأنا أشعر بشيء غير قليل من الألم متمثلاً بقول القائل :
لا تحسبوا أن رقصي بينكم طرباً فالطير يرقص مذبوحاً من الألم

وصرنا ننتقل من مصحة إلى أخرى من مصحات الاستاذ لأن له نحو ثلاثين مصحة مختلفة منها ما هو للرجال ومنها ما هو للسيدات ومنها ما هو الأولاد ، ومنها ما هو لكل أولئك ، إلى أن حان موعد الغداء وكان قد أعد لنا ودعانا إليه فأجبنا الدعوة شاكرين . وكانت مائدته لا تقل بهاء ورونقاً ونخامة عن مصحاته . وبعد تناول الغداء دعينا لمشاهدة الصور المتحركة التي تبين طريقة علاج السل بالعمل والمدرسة الشمسية . ولقد أعجبت بهذه الصور وسألت أمن الممكن الحصول عليها فتكرم الاستاذ بإعارتي إياها وعما قريب أعرضها ان شاء الله على الجمهور^(١)

ولقد قرأت كثيراً قبل سفرى عن طريقة الاستاذ في العلاج بالشمس وكتبت عنها كثيراً وكنت فيما كتبت أعبر عنها بالعلاج بالشمس . أما الآن

(١) قد تسلمت الشريطين وعرضتهما بنادى الشبان المسيحيين في منتصف أكتوبر

فأرى أن أسمى هذه الطريقة بالعلاج السماوى لأنه علاج بالشمس والهواء على جبال عالية يبلغ ارتفاعها ١٥٠٠ متر . ويعتقد الأستاذ أن الارتفاع شائعاً عظيماً فى مزية العلاج لأن أشعة الشمس لا تصل إلى الأماكن المنخفضة



أحدى مقبحات الأستاذ روليه ، أيرلان إسويسية

إلا بعد اختراقها طبقة كثيفة من الجو مشحونة بالرطوبة والتراب والدخان وغير ذلك مما يخالط الهواء ويحول دون وصول الأشعة النافعة الضرورية للشفاء

(٢٣)

عرج السل بالعمل

والمرسة الشمسية

وهي المحاضرة التي أُلقيت في نادي الشبان المسيحيين

ساد الأطباء في الأيام الأخيرة وخصوصاً في البلاد الراقية إعتقاد بضرورة تعميم الطب . وأقصد بتعميم الطب إلى تفهيم الجمهور كل ما يمكن أن يفهموه من القواعد الصحية والمسائل الطبية . وهم يسلكون لهذا الغرض مسالك مختلفة لا يتسع الوقت لشرحها . ولى الشرف أن أكون من أنصار هذا المبدأ ومن المبشرين به؛ لأننى أعنقد أن جهود الأطباء في مقاومة الأمراض ومكافحتها وفي تحسين الأحوال الصحية لأشك ضائعة إذا لم يساعدهم الجمهور . ولأضرب لكم مثلاً الأمراض المعدية حماكم الله منها . فقد أصبح بفضل تقدم الطب في وسع الطبيب ، لو أدرك المريض بأحد هذه الأمراض ، وهو في الدور الأول من المرض ، أن يدركه المضاعفات المختلفة التى قد تطرأ عليه وتكون سبباً في هلاكه ، وأن يعطل امتداد المرض إلى أقاربه وذويه ، وأن يمنع انتشاره في قريته أو بلده . أصبح كل ذلك ميسوراً هيناً يستطيع الطب أن يفعله فيدفعهماً واهماً وخطراً داهماً لو أسرع القوم وأخبروه بالمرض عند أول ظهوره ، ولم يترشوا حتى يفوت وقت التحرز . وهل يستطيع الجمهور أن يفعل ذلك لو لم يكن على بينة من هذه الأمراض ؟

ولأضرب لكم مثلاً ثانياً السرطان وقاكم الله شره ، فهو مرض قابل للشفاء إذا بادر المريض بعلاجه وغير قابل للشفاء إذا تلبث به المريض

ولم يستشر الطبيب إلا بعد أن تتبلغ به علته وتأخذ فيه مأخذاً عظيماً. ولا أدري كيف يستطيع المريض أن يهتم بمرضه وهو يسير إلا إذا تنور ذهنه بالأوليات الطبية الصحية

ولا شك أن تنوير أذهان الجمهور في المسائل الطبية الصحية لا يأتي بالفائدة المطلوبة مع انتشار الجهل والامية . وقتئذ يكون الأطباء أشجاراً بلا ثمر لعدم إقبال المرضى عليهم والانتفاع بمعلوماتهم ، وقتئذ تكون اللوائح الصحية حبراً على ورق لا أثر لها

واعتقادي بضرورة تعميم الطب هو الذي ساقني للتشرف بالقاء هذه المحاضرة على حضراتكم هذه الليلة وموضوعها « علاج السل بالعمل » أصبح الآن السل سوءاً أكان رؤياً أم جراحياً في المفاصل أو العظام أو غيرها من الأنسجة المختلفة يعالج في البلاد الراقية في مستشفيات خاصة يطلق عليها المصحات . وسيعالج في مصر في القريب العاجل في مصحة فؤاد وهي المصحة التي تكرم جلالة مولانا الملك حفظه الله فأوعز الى وزارة الأوقاف بإنشائها في حلوان

ويبنى العلاج في هذه المصحات على الراحة التامة ، والهواء الطلق ، والرياضة البدنية ، والتغذية الجيدة ، والاستعانة بأشعة الشمس ، وبالمحافظة على القواعد الصحية

والعلاج بهذا النظام يحتاج الى زمن يختلف باختلاف أنواع الإصابات وشدها وزمن وصول المرضى الى العلاج . والمعتاد أن تتراوح مدة العلاج بين بضعة أشهر وبضع سنين

ومن المعقول أن الأنسب من الوجهة الاقتصادية والوجهة الاجتماعية

أن تتمكن المصحات من رد المرضى بعد شفائهم الى الدورة البشرية لاستئناف أعمالهم ولو طالت مدة علاجهم ؛ فذلك خير من ابقائهم عجزة غير قادرين على العمل . هذا الى أن طول مدة العلاج قد تؤثر في نفسية المريض وتجعله يتأذى لاسيما اذا كان بغير إيراد ومن يعيشون بكدهم وجدهم . ولقد فكر القوم في علاج هذه الأحوال بوصف جرعة طبية من العمل بمقادير مختلفة

لقد جرت عادة الأطباء في المصحات عند أول نشأتها أن ينصحوا المسالين بالاخلاد الى الراحة التامة وسرعان ما وجدوا وبال هذه النصيحة لأنها افضت الى انحطاط المرضى انحطاطاً بدنياً ونفسياً . ذلك لأن المريض كان ينتقل فجأة من حياة النشاط والعمل وهو بين أقاربه وذويه الى حياة السكون والكسل في عزلة يكاد يردد فيها قول الطغرائي :

ناء عن الأهل صفر الكف منفرد كالسيف عرى مشاه عن الخلل
فلا صديق اليه مشتكى حزني ولا أنيس اليه مشتكى جذلي

وكيف لا ينحط المريض ولا يشغل باله إلا مرضه ومستقبله

ولم ير الأطباء وسيلة لإلهاء المرضى عن مرضهم الا المطالعة . وقد يملونها ومن ذلك يتضح لكم أن المسالين كثيراً ما يصاب في المصحة بمرض نفساني هو الفراغ من العمل ذلك الفراغ الذي تتميز به المصحات . وما أشد وطأة هذا الفراغ وتأثيره في القوة المعنوية للمريض الذي لم يألف إلا الحياة العملية . فقد لا يقل تأثير حكم المصحة بالراحة التامة عن حكم المحكمة بالأشغال الشاقة فالمرضى الذي تناسبه رياضة بدنية ، ويعمل هذه الرياضة بنظام وترتيب ، بغير أن تضره أو تشق عليه أقول إن هذا المريض يشعر بارتياح عظيم لاسترداد

قواه ورجوع الماء الى مجراه . ولا شك أن هذا الشعور يؤثر تأثيراً حسناً
لارتباط النفس بالجسم ارتباطاً وثيقاً
وقديماً قال بعضهم «إذا كان الموت هو الراحة المطلقة فالراحة التامة هي
بداية الموت»

والمعتاد أن يعالج المريض بأشعة الشمس والهواء الطلق أولاً ، فيبعث
فيه هذا العلاج القوة والنشاط ويحسن صحته كثيراً ويجعله أكثر استعداداً
للاستفادة من العلاج بالعمل

ولقد فكر القوم في العلاج بالعمل منذ سنة ١٩٠٧ وصاروا يشغلون المرضى
السائرين الى الشفاء والذين هم في دور النقه سوءاً أكانوا مصابين بالسل الرئوى
أم بالسل الجراحى اشغالاً خفيفة غير شاقة ، وخصصوا لذلك ما يسمونه
« مستعمرة العمل » يعملون فيها السلال وكراسى المرضى . وهو عمل يسهل
عمله في أثناء العلاج بأشعة الشمس في الهواء الطلق . وأصبح العاملون من
المرضى يحصلون بعملهم على شيء من المال يقوم ببعض حاجاتهم ، ويدفعون
به المال والكسل ، غير مستسلمين للاعتقاد بأنهم عالة على غيرهم ، ويستدرجون
نفسهم بعملهم هذا أيضاً الى نشاط الحياة وهم سائرون في طريق الشفاء

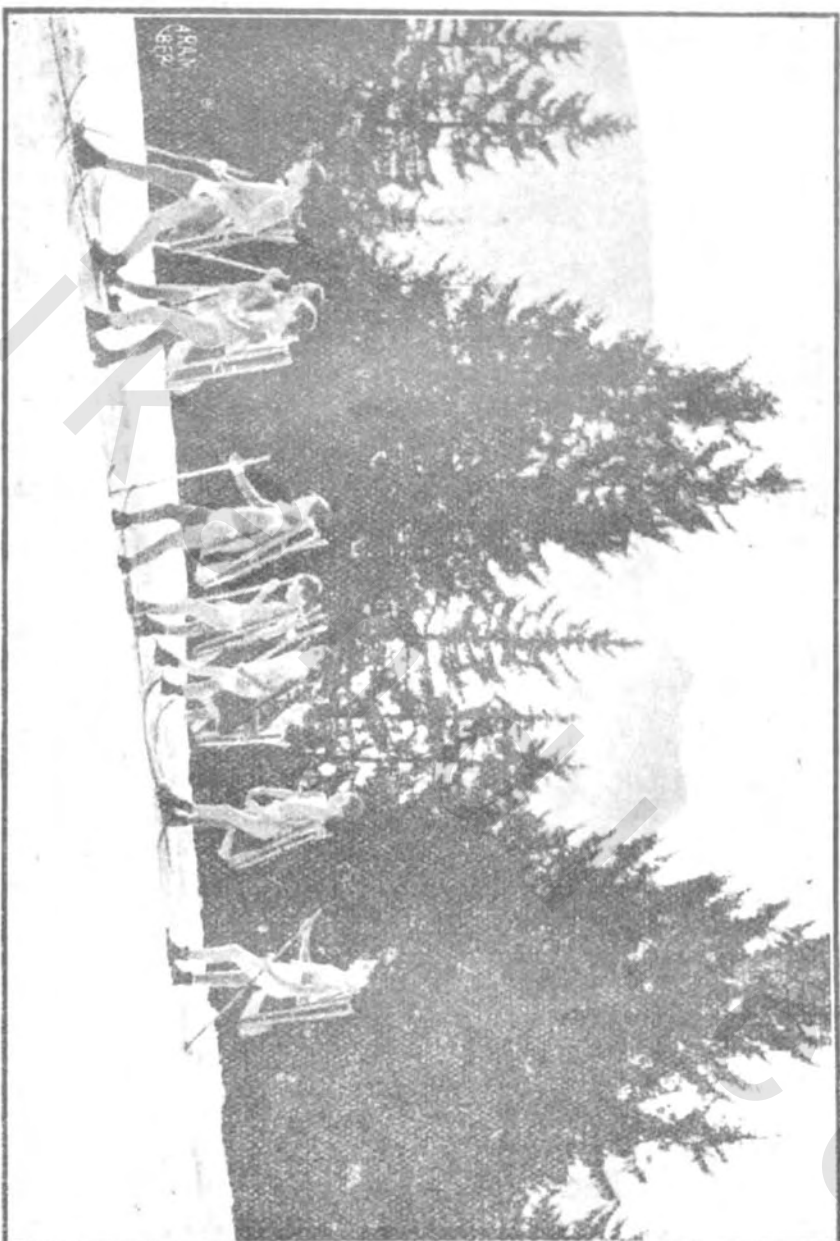
وفي سنة ١٩١٠ أنشأ بعضهم مستعمرة زراعية في وادى الأرمونت بسرناط
للأطفال كان يديرها خبير زراعى كان مصاباً بسل في العمود الفقارى وكان
يعالج في مصحة الأستاذ روليه بليسان وتم له الشفاء وأصبح قادراً على العمل
ويمكن أن يحسب من العمل أيضاً « المدرسة الشمسية » التى يتعلم فيها
الأولاد وهم يعالجون بأشعة الشمس في الهواء الطلق كما يتضح لحضراتكم
في الصور

ولما صحت التجربة في مستعمرة العمل بليزاف وفي المستعمرة الزراعية بسرناات أخذ القوم يتجادون في تطبيق القاعدة على الملازمين للفراش من المرضى الذين عليهم أن يقطعوا طريقاً طويلاً للشفاء كالمصابين بسبل جراحى فى العمود الفقارى وفى المفصل الفخذى الوركى أو فى مفصل الركبة . ولهم طرق واحتياالات غريبة يسهلون بها العمل للمريض وهو فى الوضع الذى يقتضيه مرضه سواء أكان مستلقياً على ظهره أم مبطوحاً على وجهه . فالمبطوح على وجهه لتعريض ظهره لأشعة الشمس توضع تحت صدره وسادة من الشعر مثلثة الشكل يتكى عليها المريض بمرفقيه وبذلك تبقى يداه خالصتين للعمل . وكذلك يعمل ترتيب معين للمصاب بمرض المفصل الفخذى الوركى يسهل على المريض العمل وهو مستلق على ظهره والمفصل ممدود بجهاز شد لتثبيت المفصل المريض

ولكل مريض عمل معين يتفق ومرضه فالمبطوح على وجهه لعلاج ظهره متكئاً على مرفقيه ، أو الجالس فى سريره لعلاج ركبته أو رسغ قدمه يمكنه أن يشتغل فى النقش على الخشب أو فى عمل السلال من الورق أو فى الكتابة بالآلة الكاتبة أو فى عمل الساعات وغير ذلك

أما المستلق على ظهره لعلاج بطنه أو لعلاج المفصل الفخذى الوركى فيمكنه أن يشتغل بالغلزل أو بالتصوير على الخشب وغير ذلك ولكل عمل مناسب فالذين هم فى السرير وفى طريق الشفاء لا يكافون إلا أعمالاً خفيفة . فان كانوا فى دور النقح غير ملازمين للسرير فقد يكافون أعمالاً أشق

ولقد نجحت التجارب وصار القوم يعتقدون أن العمل من وسائل



(٦١) منظر من مناظر السينا وفيه ترى الاولاد وعلى ظهورهم مكاتبهم وهم يبحثون عن مكان يجلسون فيه للدرس



(٦٢) المرضى وهم مبطوحون على وجوههم ومعرضون ظهورهم للشمس
وتراهم يعملون وهم في هذا الوضع



(٦٣) الأولاد يلعبون لعبة شد الحبل



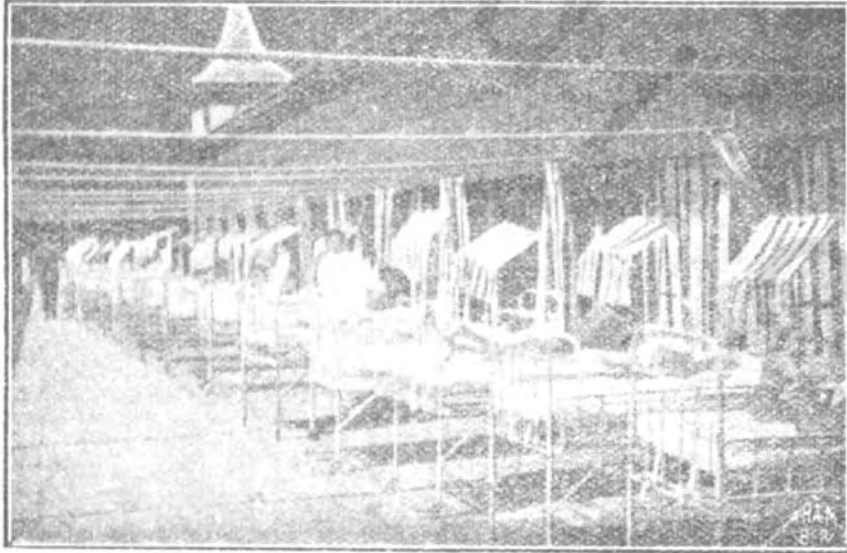
(٦٤) الاولاد وهم في دور النما يعملون في « تكويم المدرس »



(٦٥) الاولاد في المدرس



(٦٦) منظر من مناظر السينا وفيه ترى التلاميذ في الدرس
في الهواء الطلق والشمس



(٦٧) منظر من مناظر السينا وفيه ترى المرضى معرضين للشمس
يتناولون حماماً شمسياً على سطح المصحّة

(١٦)

العلاج كالدواء وهو لذلك يجب أن يوصف عند الضرورة كما يوصف الدواء يصفه الطبيب حسب مقتضى المرض ، ويلاحظ تأثيره ، وينوعه ، ويبين مقدار الجرعة منه في اليوم

وكما أن للأدوية دلالات تقتضى استعمالها وأخرى تمنع الاستعمال ، فكذلك للعمل . ومما يقتضى منع العمل أن يكون المريض محموماً لأنه وقتئذ يكون منصرفاً بكل قوته للتغلب على مرضه

والعلاج بالعمل كالعلاج بأشعة الشمس لا يطرد تأثيره في جميع المرضى بل لا بد أن يلاحظ الطبيب التأثير في كل مريض على حدة وكذلك يجب أن يطيع المرضى الطبيب طاعة عسكرية

مما تقدم يتضح لحضراتكم أن للعلاج بالعمل مزية نفسية ومزية اجتماعية اقتصادية . فأما المزية النفسية فهي تعجيل الشفاء بالتأثير النفساني لصرف المريض عن الاشتغال بمرضه الى الاشتغال بعمله . وأما المزية الاجتماعية الاقتصادية فهي الحصول على بعض الكسب مما يساعد على تطويل « زمن الشفاء » كما تقتضى ضرورة المرض لأن ذلك التطويل أضمن وسيلة لعدم الانتكاس

وقد يعترض معترض بصعوبة ترويح آثار أعمالهم في الأسواق . ويدفع هذا الاعتراض بعطف الناس على هؤلاء المرضى وحبهم تقديم كلما يمكن تقديمه مساعدة لهم وتقريباً لهمومهم وتنظيم العمل في مستعمرات العمل تنظيمًا جيدًا يضمن تطهير نتائج أعمالهم تطهيراً جيداً دقيقاً لا يخشى منه أى خطر من العدوى كما يتضح لحضراتكم من الصور التي ستعرض وجدد القوم في البلاد الأجنبية في عمل مستعمرات زراعية يعمل فيها

الذين تم شفاؤهم حرصاً على هذا الشفاء من الطبقات الفقيرة التي يتألف أغلبها من العمال وخوفاً عليهم من الانتكاس إذا هم رجعوا إلى أعمالهم في مصانعهم ومعاملهم حيث يكون الازدحام شديداً. أو إذا هم رجعوا إلى الإقامة في بيوتهم التي يكاد يكون أغلبها غير صحي فيصعب عليهم أن يحافظوا على صحتهم

وهنا عرضت مناظر السينما التي أعدت لايضاح المحاضرة ثم استأنف المحاضر الكلام فقال :

الآن وقد رأيتم هذه الصور أرجو أن تسمحوا لي ببدء ملاحظة صغيرة في مبنائها كبيرة في معناها لا أظنها قد غابت عن حضراتكم هي معرفة هؤلاء القوم قيمة الوقت وحرصهم عليه لأنه عندهم من الذهب أو أغلى؛ ولذلك نراهم كما رأيتمهم يستغلون الوقت حتى وهم مرضى فما أجدرنا ونحن نعمل على رفع سعر القطن وعدم تدهوره لأن عليه مدار ثروة البلاد أن نعمل أيضاً بكل ما في وسعنا لرفع سعر الوقت عندنا وعدم تضييعه سدى لأنه عماد الحياة، وختاماً أشكركم على تفضلكم بسماع هذه المحاضرة



علاج الأطفال بالشمس

العلاج بالشمس طريقة قديمة حديثة في آن واحد فهي قديمة لأن فوائد الشمس معروفة منذ القدم وحديثة لأن الدكتور روييه قام حديثاً فنظم طريقة العلاج بالشمس وجعل لها أصولاً وقواعد . وأريد الآن أن أنقل للقراء آراءه في علاج الأطفال بالشمس وبعض هذه الآراء سمعته من الاستاذ نفسه في أثناء زيارتي له (بليسان) وبعضها مما قرأته في الكتب والمجلات عن طريقته . ليس العلاج بالشمس إلا رجوعاً للطبيعة وامتثالاً لأوامرها التي أبعدتنا عنها المدنية الحديثة . وكلما توغلنا في هذه المدنية زدنا بعداً . لأن الطبيعة تقضى علينا لكي نكون أصحاء وتستكمل أجسامنا نماءها ألا نستغنى عن الهواء والشمس أسوة بالنبات والحيوان . . . وهما ضروريان للإنسان في جميع أدوار الحياة ولا سيما ذلك في دور الطفولة .



(٦٨) الأزهار البشرية بجانب الأزهار النباتية

وقيمة العلاج بالشمس إنما تكون بتأثيرها العام وبتأثيرها الموضعي . فأما التأثير العام فيتخلص في أن الشمس مقوية ، مجددة النشاط ، منبهة قوى الدفاع ، تزيد حيوية الجسم وتجدد أنسجته . وأما التأثير الموضعي فيتخلص في تخفيف الألم ، واتلاف الميكروبات ، وتسهيل الالتئام ، وتعميل الشفاء في الأمراض والجروح الموضعية

ويستعمل العلاج بالشمس في كل أحوال انحطاط الجسم كالانيميا ، والضعف العام ، ونقص التمثيل اذ يحتاج الجسم الى شيء من التجديد . والعلاج بالشمس خير وسيلة لعلاج الكساح والتدرن في الأطفال ولا سيما في أشكاله الجراحية . والتدرن الجراحي في أشكاله المختلفة ليس مرضاً موضعياً ينفع فيه العلاج الموضعي فحسب ، ولكنه أينما كان موضعه ليس إلا عرضاً موضعياً يدل على ضعف عام

ويتوقف نشوء التدرن لا على شدة العدوى وتعديدها ولكن على قوات الدفاع العامة ومقاومتها . فالتدرن الجراحي سواء اكان عظماً أم مفصلياً أم في الغدد أم في الجلد أم في البريتون في الأطفال يسير الى الشفاء سيراً حثيثاً بالعلاج الشمسي علاجاً قانونياً مع العلاج بالهواء . وليس تأثير الشمس في مراكز المرض تأثيراً سطحيّاً كما يدعى بعضهم فصور الأشعة التي عند الدكتور روليه وهي لا تقل عن الأربعين ألفاً تدل على أن الإصابة الدرنية لا تفلت من تأثير الشمس ولو كانت غائرة . وتدل هذه الصور أيضاً في كثير من أحوال التدرن العظمي المفصلي في الأطفال التي تقدم فيها المرض فأحدث تلفاً عظيماً إن قوة الشمس كثيراً ما تعوض عن التلف وترجع التكلس العظمي للدرجة شديدة قد يدهش منها الانسان . ولا تقتصر فائدة الشمس على شفاء التدرن

فقط بل لها تأثير عظيم في الكساحة أيضاً مما يئنه روليه منذ سنة ١٩٠٣
ووافقه عليه الكثيرون من الذين دلت تجاربهم على أن ضياء الشمس يزيد في
مقدار الجير والفسفور في الدم زيادة لا تنكر

ومن التأثيرات العامة التي يحدثها الحمام الشمسى في جسم الطفل ما
يشاهد في الجلد الذى له وظائف فسيولوجية هامة لأنه للوقاية، وللإفراز،
والدورة الدموية وللأعصاب، وللتنغذية. فإذا عرض للشمس في الهواء الطلق
وقد ضم من الملابس غير الصحية فانه يقوى ويتلون ويسترد جميع وظائفه
الфизиولوجية التي فقدتها والتي هي ضرورية للحياة الطبيعية ويصبح اللباس
الطبيعى للجسم.

وللتلون الذى يحدث في الجلد بتأثير الشمس شأن عظيم لأنه يزيد في
مقاومته للبرد والحر. هذا الى أنه يسهل التئام الجروح ويزيد في مقاومته لدخول
الميكروبات فيه. وهذا هو السبب في أن الأطفال ذات اللون الأسمر يكونون
أكثر مقاومة للأمراض الجلدية الميكروبية كالدمامل والاكنة مما يساعد على
فتح باب عدوى لأمراض أخرى أكثر خطراً. ويعتقد روليه أن المادة الملونة
التي في الجلد هي كالجامعة الكهربائية^(١) كما اتضح من الاختيار ذلك لأن
المقاومة تسير والتلون غالباً. هذا الى أن التلون يقي الجلد من تأثير الأشعة
ما بعد البنفسجية وينظم توزيع حرارتها وقد يكون للمادة الملونة شأن في
تمثيل الهورمون^(٢)

وللأشعة الشمسية تأثير عظيم في الجهاز العضلى في الطفل. وذلك لأن

(١) Dynamic Accumulato

(٢) Hormone

الشمس تمتد الأوعية الجلدية وبذلك يسحب الدم من الأجزاء الفائرة الى السطح ماراً بالطبقات العضلية فكانت الشمس كالتدليك . وقد يستفيد المجموع العضلي شيئاً من القوة بما للأشعة الشمسية من الصدمة الاهتزازية على أطراف أعصاب الاحساس التي في الجلد وباسترداد العضلات والأربطة قوتها بواسطة تأثير الشمس قد تعود الى المفاصل وظائفها . وبذلك تعود الى الأجسام الصغيرة الضامرة التي أضناها المرض صحتها وعافيتها . وهذا هو ما يحدث في الكساح أيضاً . والعلاج بالشمس ولا سيما في الجبال الشاهقة يحدث في الأطفال نشاطاً في الرئتين وبالتالي نشاطاً في الدورة الدموية وكذلك تزيد عدد الكريات الدموية كما تزيد نسبة الخضاب الدموي (الهيموجلوبين) وبذلك تتحسن حالة الدم وحالة التغذية . وللشمس تأثير في أعضاء البطن فتقوى شهوة الطعام ، وتنبه وظائف الهضم ، وتزداد قوة المريض

وللعلاج بالشمس تأثير غريب في عمل الغدد الصماء فقد كان أحد الأطباء في ايجل^(١) يرسل الأطفال المصابين بعدم كفاية الغدة الدرقية الى ليسان للعلاج بأشعة الشمس وذلك قبل ظهور العلاج في المصحات .

ويفيد العلاج بالشمس أمراضاً أخرى في الطفولة غير التدرن الجراحي والكساح لأن الشمس تلتف الميكروبات المرضية وتقوى النشاط الخلوي ، وتسهل إلتحام الجروح ، فهي أفضل مطهر لتضميد الجروح ، ولهذا السبب كثيراً ما عالج بها روليه العوارض والكسور المضاعفة والالتهاب العظمي النخاعي . ويقول إن الشمس كثيراً ما أفادت في سد التجاويف العظمية الناشئة عن ترينة العظام في الالتهاب العظمي

(١) Aigle وهي بلدة في سويسرة وبها محطة الترام الصاعد الذي يسمو بالاسنان الى ايزان

والسبب عينه يمكن علاج اللوبوس، والأكريميا، والأميتيجو، والأكنة.
وهذه الأمراض يقاومها الجلد الأسمركما ذكر

والشمس تأثير نافع في الشلل الطفلى فقد استطاع روليه أن يرجع
للمعضلات بعض قوتها وحركتها . ويقول إنه رأى عرضاً شديداً من التحسين
في مرض لتل^(١)

والأنيميا والضعف العام عقب الأمراض الشديدة والعمليات الكبيرة،
كل ذلك يتحسن كثيراً بالعلاج بالشمس . فهذه الطريقة العلاجية لا يمكن
الاستغناء عنها في جميع مستشفيات الأطفال حتى لقد قال جويير^(٢)
« ستحتاج غداً المستشفيات الجراحية إلى الطنّف التي يعالج فيها المرضى
بالشمس حاجتها اليوم إلى غرفة العمليات، والمعمل البكتريولوجى، وجهاز
الأشعة المجهولة »

والعلاج بالشمس ممكن في كل بلد تطلع فيه الشمس . ولا يصح أن
تحتكر البلاد ذات الطقس الممتاز هذا النوع من العلاج . ويمكن الجمع بين
الشمس الطبيعية والشمس الصناعية حيث تغيب الشمس طويلاً

ولئن أفادت الشمس في علاج الأمراض الشديدة كالتدرن الجراحى
والكساحه فهي أكثر فائدة في اتقاء هذه الأمراض على ما ظهر من التجارب
والخبرة الطويلة . وعلى ذلك يمكنك أن تحسب الشمس من أهم الوسائل الوقائية
وما هذه النتيجة الحديثة إلاّ صدى الجملة القديمة المشهورة « البيت الذى
تدخله الشمس لا يدخله الطيب »

ومن المعلوم أن العدوى بالسل تحدث في أثناء الطفولة حتى اذا وصلت

الأولاد الى سن البلوغ كانت نسبة من تلوث منهم به ٩٥ في المائة . ومن المعلوم أيضاً أن العدوى إما أن تكون عن طريق الرئتين وإما عن طريق القناة الهضمية . ففي الحالة الأولى يتكون خط الدفاع الأول من الغدد اللعابية القصبية الشعبية . وإذا كان خط الدفاع متيناً والدفع قوياً بقي العدو في مكانه لا يستطيع التوغل . وقد يتحصن الطفل ويؤمن جانب العدو في المستقبل اذا حوصر في مكانه . وبما أن المعتاد أن يحدث التلوث بمكروبات التدرن في الطفولة فالواجب اتقاؤه في هذا الزمن . وخير وسيلة لهذا المرض هو الحمام الشمسي الهوائي

السل نقاد

(٢٥)

وذهبت في فرصة أخرى لزيارة « مصحة الشعب » التي يديرها الاستاذ برناند وهو الذي عينته وزارة الاوقاف مديراً لمصحة فؤاد بخلوان . وهي تبعد عن قرية ليزان التي فيها مصحات الاستاذ روليه نحو عشرين دقيقة صعوداً في الترام ، وعدد أسرتها نحو مائة وخمسين . وكان الدكتور برناند وقت زيارتي لمصحته في مصر فقابلت مساعده وهو الذي تكرم على واطلعت عليها وكان أول ما بدا لي مما يستحق الذكر أن أغلب المرضى إن لم يكن كلهم في الدور الاول من المرض إذ يسهل علاجهم . وإن تعجب أيها القارئ من ذلك فعجب أن تعرف أنني لما حضرت الى مصر عرفت من أحد زملائي الذين يشتغلون معي في المستشفى أنه قد استدعى الاستاذ مرة لفحص مصاب بالسل

الرئوى فآخبره بعد الفحص أنه لم ير فى كل حياته الطيبة مسلولا قد تقدم معه المرض تقدمه فى هذا المصاب . ولست أبالغ إذا قلت أن مثلنا الآن فى عنايتنا بالسل كمثل القوم فى البلاد الراقية منذ أربعين سنة يوم كان المسلول الفقير لا يرى امامه طريقاً للخلاص الا فى التردد على احدى العيادات الخارجية فى أحد المستشفيات حيث يفحص صدره للتحقق من وجود بعض العلامات الدالة على المرض . فاذا وجدت هذه العلامات أعطى دواء مقويًا كزيت السمك مع بعض الادوية الملطفة لما يشكو منه من الاعراض . وقد يساعده الحظ فيقبل فى المستشفى فيحل فيه ضيفاً ثقيلاً بين المرضى الذين هم مصابون بأمراض أخرى وذلك مخافة العدوى ولم يك المستشفى لبقى المسلول فيه الا ريثما تخف الوطأة أو تتحسن الاعراض قليلا . ولم يهتم القوم وقتئذ بتأريخ المرض ومنبع العدوى وطريقة توزيعه وانتشاره ولا بسيره سيراً زمنياً ولا بظواهره المختلفة . ولم يدركوا ما لتأثر المريض بالوسط الذى يعيش فيه من الشأن ، ولم يفهموا أن فى تنظيم العلاج من مبدأ المرض والعناية بالمرضى بعد تمام الشفاء سر النجاح فى مكافحة هذا المرض . على أنهم لم يستطيعوا صبراً على هذه الحالة ولذلك تراهم قد قطعوا شوطاً عظيماً بعمل انظمة مختلفة للتغلب على هذا المرض كنظام مستوصفات السل فى إنجلترا (Tuberculosis Dispensary) وهذه المستوصفات مراكز قريبة المشابهة بمراكز الاطفال الغرض منها تتبع هذا المرض ومطاردته . ومعرفة طرق انتشاره ، وشن الغارة عليه فى مواضعه . فهذه المستوصفات تقوم باستقبال المسالولين وتشخيص مرضهم وملاحظتهم وعلاج الاحوال البسيطة منهم وكذلك تقوم بمراقبة أقارب المرضى وذويهم من الذين يخالطونهم ويعاشرهم مراقبة شديدة مع درس

أحوالهم الصحية وظروف معيشتهم وكذلك تقوم بمراقبة المرضى بعد شفائهم وخروجهم من المصحات . هذا الى أنها مراكز استعلامات تقوم بإرشاد الجمهور وتربيته تربية صحيحة . وحذا لو تعاونت وزارة الاوقاف مع مصلحة الصحة على إنشاء مثل هذا النظام بعد بدء العمل في مصحة فؤاد بجلوان . وتنتد تؤتى المصحة أكلها قريباً ويبدو ثمرها يانماً على غير ما هى الحال لو بقيت هذه المصحة تعمل منفردة بغير مساعدة هذه المراكز

وقد كان يقف بى المساعد على كل مريض فيشرح لى مرضه باختصار ويبين لى سير العلاج ولشد ما دهشت إذ علمت أن جميع المرضى واقفون على حقيقة أمرهم مطمئنة نفوسهم الى العلاج . ولقد هممت أن أناقش المساعد فى هذا الموضوع لولا أن تذكرت أن من القواعد الأساسية عند القوم تفهيم المسلول حقيقة أمره لكى يبادر بعلاج المرض من غير تريت ولكى يتأدب بما سميت « أدب المسلول » فلا يكون سبباً فى تقل مرضه إلى غيره من أقاربه ومعارفه وغيرهم . وما أظن أن الطبيب فى مصر يجرؤ على تفهيم المسلول حقيقة أمره بغير تمهيد طويل قد يتراخى المريض فى أثناءه فيما يجب عليه نحو نفسه ونحو غيره . وائن استجراً الطبيب وأقدم على تفهيم المريض حقيقة المرض وقف فى طريقه ذووه وغضبوا منه غضباً شديداً

ومما لاحظته أن كل مريض يدخل المصحة تؤخذ صورة رثنيه بالأشعة قبل البدء بالعلاج . ثم تؤخذ الصورة مراراً فى أثناء العلاج . وهذه الصور تصحب أوراق العلاج كما تصحبها فى مستشفياتنا أوراق الحرارة . ويعمل القوم على هذه الصور للتشخيص ولمعرفة سير العلاج تعويلاً عظيماً . ويعتقدون أن الطبيب الذى يتغاضى عنها ويهملها يكون مقصراً فى حق مريضه تقصيراً

شديداً . وههنا لا أريد أن أتوسع لأنه يشق على النفس أن أسطر حقيقة من الحقائق المرة التي لا يصح أن أذكرها إلاّ تلميحاً فالطبيب لييب وكل لييب بالإشارة يفهم

ورأيت فيما رأيت أنهم كثيراً ما يعولون في علاج السل على طريقة ادخال الهواء في تجويف البلورا (وهو غشاء الرئة) في الناحية المصابة . ويسوئني جداً أن أقول إن الأطباء في مصر قلما يلجأون الى هذه الطريقة المجربة المفيدة



(٦٩) مصحة الشعب بليزان

ولاحظت أخيراً أن السل لم يعدل بين الجنسين لأن عدد السيدات في المصحة كان أكثر من عدد الرجال فكأنه يميل الى الجنس اللطيف أكثر من ميله الى الجنس الخشن . بل هو في ميله اليهن تقاد جائر لأنه يختار منهن على الأغلب الجميلات خفيفات الروح والدم ذوات البشرة الرفافة والعيون الحوراء والحدق الدعجا والجفون الكحلاء والاهداب الوطفاء . فاذا ما حل

السل في واحدة منهم رأيتها على نحو وصف الشاعر الكبير حافظ بك ابراهيم في بؤسائه وقد « انتقلت حمرة وجنتيها الى عينيها ، وهاجر سواد لحظها الى حظها . وامتد اصفرار شعرها الى لونها ، ودب سقم جفنها الى صدرها ، وسرى تحول خصرها الى جسمها . والتقى في مآقيها دمع الحزن بدمع الدلال ، واجتمع في قدها ذلك الهيف وذاك الهزال »
وهكذا يكون جمال المرأة محسوباً عليها كما أن ذكاء المرء محسوب عليه

(٢٦)

بيان لا بد منه

« بيان لا بد منه » عنوان لا بد له من بيان . فهو العنوان الذي استعمله الشيخ الوقور اسماعيل أباطه باشا . وكان حفظه الله يستعمله لتعليقات سياسية واجتماعية . ولى الشرف أن أستعير منه هذا العنوان لتعليق طبي بياناً لسؤال مستفهم سألني في جواب خاص وطلب مني أن يكون الرد على صفحات المقطم تعميماً للفائدة . سأل السائل عن ماهية طريقة علاج المسلول بادخال الهواء في تجويف البلورا في الناحية المصابة وهي الطريقة التي ورد ذكرها في مقالى الأخير وأسفت لعدم شيوعها في مصر شيوعها في سائر البلاد الأخرى . ولست أدري أيصح أن أعبر عن هذه الطريقة بأنها حديثة وقد مضى عليها أكثر من عشرين سنة . ويخيل الى أن الأطباء في البلاد المختلفة تتناقلها بشيء من التريث غير المألوف في غيرها مما يجد من طرق العلاج . فقد نقلها الى انكلترا مثلاً في سنة ١٩١٠ طبيب انكليزى كان مريضاً بالسل

ذهب الى بلاد النرويج في سنة ١٩٠٩ ليعالج في احدى مصحاتها . فأطلعه عليها أحد أطباء المصحة ممن درسوا هذه الطريقة على أستاذ في بلاد الدانمارك فقبل الطبيب الانكليزي أن يعالج ، فهبطت حرارته بعد أن لازمته نحو سنتين ، وزال سعاله ، وانقطع البصق ، واسترد صحته ، وتمكن من الرجوع الى بلده لاستئناف أعماله فوجد قومه يكادون لا يعرفون عنها شيئاً ولا يزال الأطباء في أمريكا يعبرون عنها بالطريقة الحديثة وقد أعاروها جانباً عظيماً من اهتمامهم

وليس الأساس الذي بنيت عليه هذه الطريقة غريباً فقد بنيت على أهم ركن من الأركان التي بنى عليها علاج السل وهي الهواء الطلق والغذاء الجيد والراحة . فالراحة أهم الأركان وعليها تأسست الطريقة . ولعل القارئ يستغرب كيف يمكن تهيئة الراحة للرئتين وهما تبدئان في عملهما متى بدأت الحياة ولا تنقطعان عنه حتى تنقطع أسباب الحياة . يمكن تهيئة الراحة لهما بتقليل عمل الجسم كله وتخفيفه . فنحن نتنفس في الأحوال الطبيعية ١٨ مرة في الدقيقة وقد نتنفس أقل . فإذا قام الانسان منا برياضة بدنية زادت مرات التنفس . وإذا كانت الرئة مريضة والمريض محمومًا غير مستعين بالراحة فقد تزيد مرات التنفس الى ٢٦ أو أكثر في الدقيقة . فإذا كانت المرات الاعتيادية ١٨ في الدقيقة فهي ١٠٨٠ في الساعة وهي ٢٥٩٢٠ في اليوم . أما اذا كانت مرات التنفس في المريض ٢٦ في الدقيقة بزيادة ٨ مرات فالزيادة في الساعة ٤٨٠ وفي اليوم ١١٥٢٠ فكأن المريض يتنفس ١١٥٢٠ مرة في اليوم تنفساً بغير فائدة

وللراحة شأن عظيم في عمل القلب . فهو في الحالة الاعتيادية يضرب

٧٢ ضربة في الدقيقة تقريباً . فإذا كان الانسان مسلولاً محمومًا فقد تصل الضربات الى ١٠٢ في الدقيقة وزيادة ١٨٠٠ ضربة في الساعة وزيادة ٤٣٢٠٠ في اليوم . فإذا أبطأت الدورة الدموية بالراحة قل انتشار سموم المرض في الجسم وقل امتصاصها وبذلك تحسن شهوة الليل ويقل سعاله وتزول حماه . وقد يلوح لك أيها القارئ أن العلاج بالراحة سهل إذ يكفي أن يصف الطبيب للمريض الراحة فتحدث فوائدها لكن لا بد للشهد من ابر النحل فالراحة التامة في الفراش تشق على النفس كثيراً ولا سيما إذا طال أمرها أكثر من سنة أو سنتين ولا شك أن كل ذلك هين في سبيل استرداد الصحة

وقد لا يطرد شفاء الرئة بهذه الراحة البسيطة في الفراش . وقتئذ لا بد من الالتجاء الى الطريقة التي نحن بصدددها وهي ادخال الهواء أو الغاز في تجويف البلورا في الناحية المصابة . ويقصد بذلك الى ضغط الرئة المصابة فتمجى الأجزاء المريضة والكهوف التي فيها . وبذلك تقل السموم الصادرة من هذه الأجزاء الى سائر الجسم . وبذلك تخف وطأة المرض فتزول الحمى ويشعر بتقدم صحته كثيراً . والرئة التي عولجت بهذه الطريقة تبقى منكمشة في أغلب الأحوال بضع سنين مستريحة عن عملها راحة قسرية فتلتحم الأجزاء المصابة وتزداد مقاومة الجسم كله للمرض . فإذا عادت الرئة بعد حين إلى حالتها الأصلية وقاما تعود كان المريض أشد قوة وأكثر مقاومة . ومن حسن المريض ألا تعود الرئة بعد انتهاء العلاج الى حالتها الأصلية لأنه يمكنه أن يستأنف أعماله في ميدان الحياة برئة . ولا تصح المعالجة بهذه الطريقة اذا سرى المرض الى الرئة الثانية وأخذ فيها مأخذاً عظيماً . وكذلك لا تصح المعالجة بها إذا وجدت التصاقات بلوراوية في الناحية المصابة فانها تحول دون

انكماش الرئة . وقد تغلب القوم على الصعوبة الأخيرة بطريقة جراحية تتلخص في استئصال أجزاء كبيرة من أغلب الأضلاع أو كلها في الناحية المصابة لكي يهبط الجدار الصدري في هذه الناحية قهبط الرئة منكماشة ويتم الغرض الذي يتم بادخال الهواء . وهى طريقة حديثة أيضاً ولم تعمل في مصر لسوء الحظ

ويصح لاتمام المقال أن أتم أخبار الرحلة . فقد ركبت الباخرة ايطاليا من جنوى راجعاً الى مصر وكلى شوق اليها لأن لها وحشة لا يشعر بها إلا من غاب عنها وكان من أبنائها المخلصين . ولما ابتعدنا عن جنوى واختفت معالمنا عنا شاهدنا باخرة قاصدة اليها وكانت لا تبعد عنا فى سيرها إلا بقدر ما تبعد الوحدة عن الأخرى فرأيت الركاب فى الباخرتين وقد تبادلا التحية والوداع بالمناديل فقلت فى نفسى هذه هى جامعة الغربية التى أشار اليها القائل :
أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

ثم وصلنا الى نابولى وكان على الباخرة أن تنتظر على مينائها وقتاً غير قصير فوقفت فى أثناءه على سطحها أشاهد النازلين منها والصاعدين اليها فرأيت قسيساً يصعد إلى الباخرة ومعه حقائبه فعرفت أنه من المسافرين معنا . وبعد قليل رأيت شيخاً ومعه حقائبه أيضاً فتذكرت ما قرأته فى جريدة السياسة الغراء تحت عنوان «مذكرات مسافر» لكاتب قدير وعالم فاضل مما يتلخص فى أن الكاتب قد خرج ذات يوم وهو فى أكس لبيان للنزهة حول بحيرة انسى فركب سيارة مع قوم آخرين فلأزهم النحس فى هذه النزهة وصادفهم حوادث مكدره انتهت بسقوط عجلة من السيارة لتطير مساكها وهم بعيدون عن المدينة مما اضطرهم إلى الرجوع اليها على الأقدام

قال الراوى : « وعندئذ سقطت عجلة كان مساكها قد تطاير ولم يصب أحد بأذى لكننا بعييدون عن المدن وإصلاح السيارة يحتاج الى أدوات لا توجد إلا في مدينة فلنذهب الى انسى مشاة . سار الركب ولا بد أن يتحدث السمار فسمعت سيدة تقول لصويحباتها لم يكن مقرونًا باليمن طالع هذه النزهة . قالت الأخرى ألا يكون معنا قسيس من حيث لا ندرى . وجعلت السيدات يتصفحن وجوه الرجال متضاحكات . قال الشيخ هناك تذكرت قول شيخ الأزهر :

الشيخ والقسيس قسيسان وإن تشأ فقل هما شيخان

فتصيبت عرقاً وأخذت ألوى وجهى وأصرف ملامحه وأصد عن تلك النظرات اللاعبة مخافة أن يصبح لعبها جداً ثم قلت في نفسى هنيئاً للشيخ على عبد الرازق قد خلعه الله من الشؤم في نظر السيدات »

تذكرت هذه القصة فتشاءمت وقد صدق من قال « الشؤم عند التشاؤم » لأن الباخرة لم تكد تترك نابولى حتى جاش بنا البحر وعصفت الرياح عصفاً شديداً فصارت السفينة تميل ذات اليمين وذات اليسار صاعدة عند مقدمها هابطة عند مؤخرها فاخفى الركاب في حجراتهم وانقطعت جوقة الموسيقى عن عملها في ميعاده ولم يحضر الطعام في وقت الطعام الا نفر قليل ولبثنا في هذه الشدة نحو أربع وعشرين ساعة فقضيت ليلة كانت في العمر ليلة خوفاً واضطراباً . وبعد ذلك سكن الهواء والماء سكوتاً غريباً وسارت السفينة سيراً لا يكاد الانسان يشعر به حتى وصلنا بالسلامة الى الاسكندرية فقلت في نفسى ألا يكون هذا الهدوء في الهواء ببركة هذين القسيسين

أو الشيخين؟ فإني صحت ذلك كان نفعهما أكبر من إثمهما ويعنيهما أعظم من
شؤمهما والله أعلم

ولا ريب أن من تتبع هذه المقالات، ووقف على ما ذكرته من عيوبنا
ونقائصنا؛ وهي ليست يسيرة، وقابل بينها وبين مزايا القوم وفضائلهم؛ وهي
كثيرة، وأدرك العقبات التي تعترض القائمين بالاصلاح والطالبية، وما مشروع
بناء مستشفى قصر العيني ببعيد أقول إن من فعل ذلك لا شك يعذرني إذا
قلت للمصريين عامة وللأطباء خاصة في تواضع واحترام إنما أعظمكم بواحدة
الآن تحسبوا أنفسكم أيقاظاً وأنتم رقود، والآن تحسبوا أنفسكم سائرين إلى الأمام
وأنتم قعود

{ انتهى }



طِبُّ الْبَيْتِ

وضعه الدكتور محمد عبد الحميد بك

جدير بهذا الكتاب أن يدعى مرشد العليل ودليله يحدّثه عن أسباب مرضه وأعراضه
وسائر أدواره ويبين له طريقة علاجه . ولقد تناول المؤلف فيه أكثر الأمراض
شيوعاً فشرحها شرحاً وافياً يقربها من الأذهان . وهو يغني العائلة في غيبة طبيبها .
وقد قررته وزارة المعارف العمومية في عموم المدارس الأميرية وعموم مجالس المديرية
والمدارس الأهلية ثمن النسخة ١٥ غرشاً صاعاً وأجرة البريد ثلاثة غروش

الاسعاف والافلاج

وضعه الدكتور محمد عبد الحميد بك

يحتوى هذا الكتاب على كل ما يجب معرفته من وسائل الاسعاف للرضوض والجروح
والنزف ، وكسر العظام ، وخلع المفاصل ، والحرق ، والسلق ، والكلى ، والأجسام
الغريبة في الأذن والعين ، وفقد الإدراك والشمور ، ولدغ العقرب ولسع الثعبان
والزنبور وعض الكلب وصدمة الكهرباء والمفص الكلى والكبدى ، والمعوى
وتقل المرضى والمصابين وتمريضهم . وقد قررته وزارة المعارف العمومية في عموم
المدارس الأميرية وعموم مجالس المديرية والمدارس الأهلية
ثمن النسخة ١٢ غرش صاعاً وأجرة البريد ثلاثة غروش

اغلاط الجراحين

وحوادث الجراحة

وضعه الدكتور محمد عبد الحميد بك

يقع هذا الكتاب في نحو ثلاثمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير شرح المؤلف فيه الأغلاط التي قد يقع فيها الجراح في أثناء تشخيصه الأمراض الجراحية أو في أثناء العمليات . وذكر في سياق الكلام كثيراً من الأدلة والنواهد والحوادث التي وقعت من هذا القبيل والتي تمثل أغلاط الجراحين تمثيلاً تاماً حقيقياً وشفعها بالملاحظات الدقيقة والتعليمات الطبية الصحيحة.

وفي الكتاب شرح وافٍ لكل الحوادث والحالات التي قد تطرأ على المريض قبل العملية وبعدها . وخلاصة القول أن هذا الكتاب هو أتم وأتم كتاب ظهر في هذا الموضوع العظيم الشأن ثلثة خمسون قرشاً صاعاً وأجرة البريد أربعة قروش صاعاً

الصور الخيالية

لجسم الانسان

وضعه الدكتور محمد عبد الحميد بك

كتاب فريد في بابيه يشتمل على بحث دقيق شامل لجميع أعضاء الانسان الظاهرة والباطنة كالحواس الخمس والقلب والرئتين والكبد والمعدة وغيرها ووصف مسهب لدورة الدم والتنفس وهضم الطعام . والكلام فيها جميعها مسبوك في قالب صور خيالية شفافة تسهل على الناظر فيها أن يتبين ما تضمنته من الحقائق العلمية والطبيعية ويحيل الى مطالعته أنه يتلو قصة شائعة ذات حوادث مذهشة أو يطالع وقائع حرب ناشبة فيلهم بها متفكيراً متسلماً بلا سأم ولا عناء ، وهذا الكتاب في ٢٥٠ صفحة مطبوع أجمل طبع على أحسن ورق ومزدان بنحو مئة وخمسة عشر رسماً متقناً وإخفاً

من النسخة ١٥ قرشاً وثلاثة قروش أجرة البريد